أفق جديد
أسبوعية سياسية شاملة
الاثنين
28 أبريل 2025
30 شوال 1446هـ
العدد 25

صالحة وأخواتها..
جرائم غير قابلة للنسيان

جريمة حرب موثقة

منذ اندلاع الحرب في السودان، برزت قوات الدعم السريع كأحد أبرز أطراف النزاع التي اتخذت من التصفيات الميدانية سلاحًا لإخماد الأصوات المعارضة، وبسط الهيمنة على الأرض. وعلى مدار شهور الحرب، وثقت مصادر حقوقية وشهود عيان موجات من الجرائم الوحشية، كان القاسم المشترك بينها هو الإعدام الفوري للأسرى والمعتقلين المدنيين بلا رحمة أو محاكمة.

في شوارع الخرطوم، وعبر بلدات دارفور المكلومة، تنفذ قوات الدعم السريع إعدامات علنية لأشخاص يتم اعتقالهم تعسفيًا، غالبًا بناءً على شكوك أو انتماءات قبلية أو مناطقية. الضحية قد يكون جنديًا في الجيش السوداني، أو ناشطًا مدنيًا، أو حتى شابًا عاديًا لا يحمل سوى هويته «الخطأ».

شهادات مرعبة جمعها صحفيون وناشطون ميدانيون كشفت أن المعتقلين يُجبرون على الاعتراف تحت التعذيب، ثم يُقتلون رميًا بالرصاص أو ذبحًا، وتُلقى جثثهم على قارعة الطريق، في رسائل دموية مفادها أن لا حصانة لأحد.

في إحدى الوقائع المروعة بولاية غرب دارفور، اقتحمت قوة تابعة للدعم السريع بلدة صغيرة، وأعدمت العشرات من الشباب بعد فصلهم بحسب أصولهم القبلية. أطفال شاهدوا آباءهم يُسحبون أمام أعينهم ليُقتَلوا دون ذنب سوى انتمائهم.

أما الجريمة الأخيرة التي هزت الضمير السوداني، فقد وقعت غرب أم درمان، إذ أقدمت قوة تابعة للدعم السريع على تصفية أكثر من عشرة شبان بعد اعتقالهم من منازلهم ومزارعهم.

وبحسب إفادات السكان المحليين، فإن الجنود جمعوا المعتقلين في ساحة مكشوفة، وأطلقوا النار عليهم واحدًا تلو الآخر، أمام مرأى الأهالي الذين لم يستطيعوا التدخل خوفًا من المصير نفسه. وقد أكدت صور ومقاطع مصورة نشرت لاحقًا أن بعض الضحايا كانت أيديهم مقيدة قبل إطلاق النار عليهم، مما يدل على أن الإعدام كان عملية ممنهجة ومدبرة، لا ناتجة عن اشتباك أو خطأ ميداني.

الأسوأ أن هذه التصفيات تتم في ظل صمت إقليمي ودولي مخزٍ، وكأن أرواح السودانيين أضحت بلا قيمة. ولا تكتفي قوات الدعم السريع بالقتل، بل تمارس حملات تشريد منظمة، فتفرغ القرى من سكانها، وتحرق المنازل، وتنهب الممتلكات.

يؤكد محللون أن هذه الممارسات تحمل كل سمات «جرائم الحرب» و«الجرائم ضد الإنسانية»، مما يضع قادة الدعم السريع، وعلى رأسهم محمد حمدان دقلو (حميدتي)، في مواجهة حتمية مع المحاكم الدولية عاجلًا أم آجلًا.

في المقابل، ورغم خطورة الوضع، تبدي قوى المجتمع المدني السوداني تصميمًا على توثيق كل انتهاك وكل جريمة. عشرات المنظمات والأفراد يعملون بسرية تامة على جمع الأدلة، تحضيرًا ليوم الحساب، ولن ينجو أبدًا كل منتهك سواء أكان من الدعم السريع، أو كتائب الإسلاميين التي ارتكبت أبشع الجرائم في منطقة جنوب الحزام.

في المحصلة، لم يعد هناك شك أن التصفيات التي يمارسها جنود الدعم السريع ليست مجرد تجاوزات فردية، بل هي سياسة ممنهجة تستهدف سحق كل مقاومة شعبية أو عسكرية في طريقهم، ولو على جثث الأبرياء.

وجهات نظر

الحـــرب.. وتصفية الخصومات السياسية
وائل محجوب
6-7

البلد دي ماشة وين..؟
حيدر المكاشفي
11-13

محمد المكي إبراهيم.. شـــاعر الأمـة الســـودانية
طاهر المعتصم
17-20

الهامش والمركز في الإرجاء
حاتم أيوب أبو الحسن
24-25

الاقتصاد السوداني بين دمار الحرب وخرافة الإنتاج
عمر سيد أحمد
26-27

استيلاء الفلول على نقابة المحامين السودانيين
محاولة لعودة الإسلاميين للسلطة عبر البوابات المهنية
سمير شيخ إدريس
28-30

رسائل الإخوانيات: أدب المودة والصداقة في التراث العربي
عثمان يوسف خليل
35-36

إليه.... نضال علي 39

الغلاف

صحة

أزمة الكوليرا في السودان:
صرخة نظام صحي منهار
8-10

حقوق

مهنيون رهن الاعتقال...
حين تسجن السياسة القانون

14-16

مرصد

أطفال الســـودان...
اللعب بالبنـــادق
21-23

أزمـــات

هل يستطيع نتنياهو دفن «قطر جيت» تحت أنقاض غزة؟

31-34

أسبوعية سياسية شاملة

رئيس التحرير
عثمان فضل الله

تصدر عن

MAARIF CENTER FOR STRATEGIC STUDIES LTD
REGISTERED OFFICE OF THE COMPANY IS SITUATED AT:
UGANDA، CENTERAL، KAMPALA، CENTERAL DIVISION، BUKESA، NSALO
POSTAL ADDRESS 177732
KAMPALA GPO

رياضة

الهلال يتعثر أمام لكصر والمريخ يعود إلى سكة الانتصارات

43-44

«الصالحة» حلقة جديدة في مسلسل «العبث» بأرواح المدنيين

ملخص

جريمة غير قابلة للنسيان.. ماذا حدث في الصالحة؟: جريمة مروعة بتوثيق مصوّر: ارتكبت قوات الدعم السريع مجزرة الصالحة في 27 أبريل 2025 بإعدام 31 مدنياً عمداً، بما فيهم أطفال، حيث تم توثيق المشهد عبر مقاطع فيديو صادمة تظهر الجنود وهم يطلقون النار على ضحايا عُزّل ويضعون إطارات سيارات على الجثث استعداداً لحرقها، بينما يتباهى أحد العناصر بالقتل صراحةً.

حصار ومنع للمساعدات: تفرض القوات حصاراً خانقاً على المنطقة حيث أغلقت الأسواق والمرافق الصحية، مما يهدد بكارثة إنسانية، مع تنفيذ حملات اعتقالات واسعة بتهم ملفقة، وتحويل المنطقة إلى ثكنات عسكرية تمنع حركة المدنيين، في سياسة واضحة لترهيب السكان.

تناقض في الروايات وإنكار مسؤولية: بينما نفت قوات الدعم السريع تورطها رسمياً وادعت أن العناصر الظاهرة «لا تتبع لها»، أشار مستشار لقائدها إلى أن الضحايا «أسرى حرب»، في تناقض يكشف محاولات التملص من المسؤولية رغم الأدلة الدامغة التي توثق الانتهاكات من داخل صفوف القوات نفسها.

غياب دولي وصمت خطير: على الرغم من نداءات شبكة أطباء السودان ومحامي الطوارئ للتحرك العاجل، يغيب رد فعل فوري من المجتمع الدولي، مما يزيد من مخاطر استمرار الإفلات من العقاب في واحدة من أبشع جرائم الحرب التي توثقها الكاميرات خلال الصراع السوداني.

صف الموت هذه المرة يختار مكانه عند منطقة صالحة جنوب أمدرمان ، 31 شخص تمت تصفيتهم بدم بارد بواسطة قوات الدعم السريع التي تسيطر على المنطقة منذ اندلاع الحرب في السودان بحسب بيان صادر عن شبكة أطباء السودان حيث أكد على ارتكاب قوات الدعم مجزرة جماعية من خلال قيامها بعملية تصفية ميدانية ل 31 شخصاً من مواطني صالحة بينهم أطفال وهي أكبر جريمة قتل جماعي أرتكبها الدعم السريع في المنطقة .

وفي مشهد مصور شاهده الملايين أعترف قائد ميداني بالدعم السريع عن أصداره أوامر أدت لتصفية العشرات بتهمة الإنتماء للجيش ، وهو ذات الامر الذي أكده مستشار قوات الدعم السريع مصطفي إبراهيم في استضافته في برنامج المسائية لصالح قناة الجزيرة إبراهيم اعتبر تصفية الأسري انتصار للدعم السريع جازماً بانتمائهم للجيش وبرر عملية التصفية بأنها تأتي في سياق ردهم على ما قال انها تصريحات لقائد الجيش وتهديده لأل دقلو ومن يدعمهم وفقاً لتعبيره . المفارقة أنه وفي ذات اللحظة التي كان فيها فيديو مستشار الدعم السريع «رائج» في وسائط التواصل الاجتماعي أصدر الناطق الرسمي لقوات الدعم السريع بياناً نفي فيه أي ارتباط بين قوات الدعم السريع وفيديو التصفية نافياً انتماء من ظهروا في الفيديو للدعم السريع .

فيما أصدرت لجان مقاومة صالحة بياناً اكدت فيه حادثة التصفية التي تمت لمواطنين تم اختطافهم من منازلهم مع بعض الأسرى وزادت ما تزال قوات المليشيا تواصل جرائمها بحق المدنيين دون وازع اخلاقي أو خوف واضاف البيان ان القوات المتواجدة بالمنطقة قامت بسبي النساء والفتيات واستخدامهن جنسياً وفرضت عليهن خدمة اعداد الطعام لجنود المليشيا . وما أعلنه البيان عن الأوضاع في اخر معاقل قوات الدعم السريع في امدرمان يبدو أنه فقط رأس جبل الجليد الحقيقة أكثر قساوة مما يمكن تخيله تقول سيدة ما تزال هناك ل «أفق» نحنا هنا موتى ما نزال على قيد الحياة الأوضاع التي صبرنا على سوءها بأمل الخلاص تزداد سوءاً لا طعام في الأسواق ولا أسواق النهب يطال كل شيء وارخص شيء هنا روح الإنسان المجموعات التي التحقت بالمنطقة مؤخراً ويغلب عليهم الاجانب يطلقون رصاص موتهم نحو المدنيين لاتفه الأسباب . أصبحنا نغلق علينا الأبواب في أنتظار الموت .

وظلت منطقة صالحة ومعظم قري الريف الجنوبي لامدرمان تحت سيطرة قوات الدعم السريع منذ بدء حربها مع الجيش قبل عامين ولم يرتبط تواجد قوات الدعم السريع في المنطقة بالحرب بل قبل ذلك واستلم الدعم السريع مقر هيئة العمليات التابع لجهاز الأمن في عام 2019 والذي ما زال تحت سيطرته حيث يتم توظيفه في جوانب ادارية وعسكرية بالاضافة لانه اصبح احد مراكز الاحتجاز التي يستخدمها الدعم السريع وهو احد المحطات التي يتم نقل المعتقلين اليها حيث يتم التحقيق كما ان اذونات المرور يتم اصدارها هناك

تصفية المواطنين في صالحة لا تعدو سوى كونها صفحة جديدة في كتاب قوات الدعم السريع المليئ بالانتهاكات وبالطبع تأكيد أخر على ان الحرب السودانية موجهة وبشكل رئيسي ضد المدنيين وان الحفاظ على حياتهم أخر ما يمكن التفكير فيه ما جرى هو أمتداد لمسلسل الانتهاكات التي لا تتوقف كما أن محاولة الدعم السريع في التملص من مسؤوليته عما حدث مجرد محاولة للهروب للامام لا تجدي نفعاً . وهو يشبه سلوك اطراف الحرب حين يلقي كل بالمسؤولية على الاخر بالنسبة للكثيرين فأن الدعم السريع مدان بسبب انتهاكاته ليس في الصالحة فقط وانما في كل مكان وطأته اقدام جنوده وهو ذات الامر الذي ينطبق على الجيش والمليشيات المتحالفة معه فيما يدين كثيرين الجيش ويحملونه مسؤولية تصفية المواطنين في صالحة نتيجة عدم تحركه لانقاذهم بتحرير المنطقة

بيانات استنكار جريمة الدعم السريع في صالحة تتابع ومن ضمن الذين ادانوا المجزرة تحالف «صمود» والذي أدان معها ايضاً توجيه المسيرات لتدمير البنية التحتية ولقتل المدنيين كما حدث مؤخراً في معسكر النزوح بحي المقرن واعتبر ما يجري انتهاكاً صارخاً للقانون الدولي الانساني وكل الاعراف واعتبر محامو الطوارئ تصفية المدنيين العزل تشكل انتهاكاً جسيماً لكافة المواثيق الدولية وقال ان ارتكاب هذه الجرائم بصورة منظمة وتوثيقها يعكس مدي استهانة قوات الدعم السريع بأرواح المدنيين وانتهاجها سياسة الإفلات من العقاب كمنهج لترهيب السكان وفرض سطوتها بالقوة القهرية .

حسناً ما حدث في الصالحة استهدف من قام به خلق حالة من الخوف في أوساط الناس ومنعهم من تقديم الخدمات للجيش الذي يقول مناصروه أن قواته تتأهب للسيطرة على المنطقة ، وهو أمر لا يتجاوز كونه جزء من خطاب الحرب المستمر لعامين مثله وعملية توظيف الأنتهاكات لدعم الموقف السياسي والاخلاقي لطرف من الأطراف في حرب ربما ابلغ توصيف لها انها «عبثية» وبالطبع تغييب عنها كل القيم والأخلاق .

حرب يبدو فيها سؤال «هاشم» الذي لا يزال معتصماً بمنزله في المنطقة « بتقتلونا ليه ؟» ينتظر اجابته المنطقية . هو في حقيقته سؤال كل أهالي «الصالحة» الذين لم يجلبوا الدعم السريع لمعسكر هيئة العمليات وفي الوقت نفسه لم يرفضوه تعايشوا مع الأوضاع سابقاً وعاشوا في وسط ويلات الحرب رفيقهم «الصبر» وقوة احتمال هزمها الدم المراق في الشارع الرئيسي قريباً من مدرسة الوصال حيث مسرح المجزرة وسيهزمها أكثر مجرد النظر اليهم بأنهم أرقام جديد لتعظيم مكاسب من يقتلونهم بسلاح هم من دفع ثمن جلبه .

الحـــرب.. وتصفية الخصومات السياسية

وائل محجوب

ملخص

يستعرض النص قضية المحامي منتصر عبد الله كمثال صارخ على انهيار الضمانات القضائية، حيث تحول تقديم الطلبات القانونية إلى سبب للاعتقال والتعذيب وإجباره على التنازل عن حصانته المهنية.

يكشف التحليل كيف أصبحت الحرب ذريعةً منهجيةً لتصفية الخصوم، عبر آليات اتهام جاهزة واعتقالات تعسفية تخرج عن كل الأطر القانونية والقضائية المتعارف عليها.

يبرز السياق محاولات قوى النظام البائد إعادة إنتاج الاستبداد، من خلال توظيف أدوات القمع القديمة تحت غطاء الطوارئ، مستهدفةً كل الأصوات الرافضة لهيمنتها.

ينبه المحتوى إلى خطورة استمرار الانتهاكات الممنهجة بحق المعتقلين، في ظل غياب أي شكل من أشكال المحاسبة أو الرقابة، مما يجعل من العدالة مجرد وهم في المشهد الراهن.

* قامت النيابة العامة بتحريك إجراءات قانونية تجاه رئيس الوزراء السابق عبد الله حمدوك ومجموعة من قيادات تنسيقية القوى المدنية «تقدم سابقًا صمود حاليا»، تقدم المحامي منتصر عبد الله لتولي الدفاع عن المتهمين، استنادًا على مبادئ النظام القضائي والعدلي، وأسس المحاكمة العادلة، التي تحدد وتلزم بأن يكون للمتهم محامي يدافع عنه، ما لم يسقط هذا الحق بطلبه الترافع عن نفسه، وبدون ذلك لا تستقيم العدالة والمساواة أمام القانون.

* وما حدث هو أن ذلك القانوني والناشط الحقوقي، ذهب لتقديم نفسه كمحامي للمتهمين وتقديم طلبات قانونية، ولم يخرج بعدها حيث تم القبض عليه هو نفسه، وفتحت بلاغات في مواجهته تصل عقوبة بعضها للإعدام، وتعرض للسجن لسبعة أشهر.

* وقال بيان صادر عن التحالف الديمقراطي للمحامين يوم 21 أبريل الجاري إن الأستاذ منتصر «تعرض لظروف اعتقال أمنية قاسية، إذ تعرض لأنواع مختلفة من التعذيب الجسدي والنفسي، كما تعرض لانتهاكات في حقوقه القانونية بغرض تقديم أدلة ضد نفسه، وتم إجباره على التنازل كتابة لدى الخلية الأمنية ببورتسودان عن الحصانة المهنية، إذ لا يجوز وفق القانون مباشرة الإجراءات الجنائية بحق المحامي دون إذن النقابة وهو إجراء لم يحدث في هذه الدعوى الكيدية».

* إن هذه القضية تسلط الضوء على ما يواجه طيف واسع من الناشطين المدنيين، حيث يتم استغلال أجواء الحرب في تصفية الخصومات السياسية، وتقويض أسس القانون والعدالة، ليس في ردهات المحاكم والنيابات فحسب، إنما في معتقلات منتشرة في مناطق خاضعة لسيطرة الجيش، وورد ذكرها في تقارير تصدرها جهات حقوقية وقانونية داخلية وإقليمية ودولية، تناولت الانتهاكات الجسيمة التي تقع بحق المعتقلين فيها، دون أن تحرك الجهات العدلية والقانونية ساكنًا، لمعرفة مصيرهم وفرض قواعد القانون في المناطق التي تمت استعادة السيطرة عليها.

* غالبية الذين يتم اعتقالهم، والزج بهم في هذه المعتقلات التي تفتقد لأي صفة قانونية، لم يتم تحريك اجراءات قانونية في مواجهتهم، بينما أطلقت أيدي مجموعات عسكرية وأمنية غالبيتها ذات صلة بالمؤتمر الوطني والحركة الإسلامية، لتمارس الضبط والتوقيف غير القانوني، والتهمة الجاهزة التي تلصق بالموقوفين سواء أكانوا من غرف الطوارئ، أو من المهنيين المنتمين سياسيًا بغض النظر عن أحزابهم، هي التعاون مع قوات الدعم السريع، وبذلك ترك المجال مفتوحًا أمام هذه المجموعات لتصفية حساباتها ضد كل من له صلة بالثورة وقواها، وبالعمل السياسي المناوئ لعهد الإنقاذ.

* استغلال أجواء الحرب سنة قديمة درج عليها المنتمون لعهد الإنقاذ بمؤسساتها السياسية والأمنية، وقد تصاعدت وتيرتها خلال هذه الحرب، بعدما تمت حملات متواصلة للكراهية وشيطنة القوى المدنية، وهو المسوغ لكل ما يجري من انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان، بحق المدنيين تحت ستار هذه الحرب ومعاركها الدامية، حيث يقبع بالمعتقلات دون إجراءات قانونية، ودون تقييد بلاغات بحقهم العشرات من المنتمين سياسيًا والناشطين، وتشير العديد من التقارير المنشورة لخطورة أوضاعهم، حيث يتعرضون للتعذيب والتنكيل المستمر.

* إن أوضاع هؤلاء المعتقلين وحياتهم في خطر شديد، ويواجهون ظروفًا بالغة التعقيد في ظل سيادة مناخ الإرهاب والتخويف، التي حرمتهم من أبسط حقوقهم ومعرفة ما يتعرضون له بواسطة أهلهم وذويهم الذين منعوا حتى من مقابلتهم، وفي تقديمهم لمحاكم عادلة في حالة تقييد إجراءات قانونية بحقهم، وفي ظل حالة الصمت العام حول ما يتعرضون له من انتهاكات.

* تسعى مجموعات تنتمي للحركة الإسلامية والمؤتمر الوطني تحت دخان هذه الحرب ونيرانها، وفي ظل حالة الطوارئ وسيادة حالة الأحكام العرفية، لإعادة عقارب الساعة للوراء، واستعادة دولة البطش والاستبداد التي لفظها الشعب وأصدر حكمه عليها، وذلك ما تؤكده ممارسات أجهزتهما الأمنية الشعبية وكتائبهما العلنية والسرية، وما تنطق به ألسنة كوادرها التي ما فتئت تتوعد الخصوم وتطلق التهديدات بحقهم.

أزمة الكوليرا في السودان:
صرخة نظام صحي منهار

ملخص

كارثة إنسانية متعددة الأوجه: تحول تفشي الكوليرا في السودان إلى مؤشر صارخ لانهيار شامل في البنية التحتية للدولة، حيث أدت الحرب الأهلية إلى تدمير 70% من المرافق الصحية ونزوح 13 مليون شخص، مما خلق بيئة مثالية لانتشار الوباء الذي أودى بحياة 1،500 شخص وأصاب 59،000 آخرين بحلول أبريل 2025.

استهداف ممنهج للقطاع الصحي: تكشف الأزمة عن استخدام الصحة كسلاح حرب، مع هجمات متعمدة على المستشفيات ونهبها، وفرار الكوادر الطبية، وتعطيل سلاسل الإمداد الدوائي، حيث يعالج المرضى على الأرض في مستشفيات تعمل بأقل من 30% من طاقتها، بينما تناضل المنظمات الدولية لتقديم المساعدات الأساسية.

عقبات منهجية تعيق الحلول: تواجه جهود الإغاثة تحديات جسيمة تتراوح بين القيود الأمنية والعقبات البيروقراطية، حيث علقت منظمات مثل أطباء بلا حدود عملياتها في دارفور بسبب استهداف سيارات الإسعاف، بينما تعاني مخيمات النازحين من نقص حاد في المياه النظيفة - العامل الرئيسي لانتشار الكوليرا.

حلول مستدامة تتجاوز الإغاثة الطارئة: بينما تستهلك الاستجابة العاجلة للوباء كل الجهود، يبرز سؤال إعادة بناء النظام الصحي المنهار كتحدٍ مصيري، يتطلب استثمارات ضخمة وإصلاحات هيكلية لإنشاء بنية تحتية صحية مرنة، مع ضرورة تحول المجتمع الدولي من دور المانح إلى الشريك في إستراتيجية تنموية شاملة تعالج جذور الأزمة.

يكشف تفشي وباء الكوليرا المستمر في السودان عن أزمة نظامية عميقة تجاوزت حدود المشكلة الصحية لتعكس انهياراً شاملاً في بنية الدولة. منذ اندلاع الصراع المسلح بين القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع في أبريل 2023، تحول السودان إلى مسرح لواحدة من أشد الكوارث الإنسانية في العالم، مع تسجيل نحو 59،000 إصابة بالكوليرا وما يقارب 1،500 حالة وفاة بحلول أبريل 2025. يستعرض هذا التقرير الأبعاد المختلفة للأزمة، ويحلل تداعياتها على النظام الصحي، ويقترح سبل الاستجابة الفعالة.

هل يمثل تفشي الكوليرا مجرد أزمة صحية أم هو نتيجة لانهيار شامل؟

يكشف تفشي وباء الكوليرا المستمر في السودان عن أزمة نظامية عميقة تجاوزت حدود المشكلة الصحية لتعكس انهياراً شاملاً في بنية الدولة. فمنذ اندلاع الصراع المسلح بين القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع في أبريل 2023، تحول السودان إلى مسرح لواحدة من أشد الكوارث الإنسانية في العالم. أسفر هذا الصراع عن مقتل ما بين 20،000 و150،000 شخص، ونزوح قرابة 13 مليون آخرين، مما خلق بيئة مثالية لانتشار الأمراض المعدية.

أعلنت وزارة الصحة الاتحادية السودانية عن أولى حالات الكوليرا في أواخر يوليو 2024، وبحلول أبريل 2025، وصل عدد الإصابات إلى نحو 59،000 حالة، بينما بلغت الوفيات ما يقارب 1،500 حالة وفقاً لتقارير منظمة الصحة العالمية. تنتشر بكتيريا الكوليرا عبر الطعام والماء الملوث، وتزدهر في الظروف غير الصحية التي أصبحت سمة أساسية للمخيمات المكتظة التي تأوي ملايين النازحين.

كيف تحولت المياه من مصدر للحياة إلى ناقل للموت؟

مع افتقار 17.3 مليون شخص إلى مياه الشرب الأساسية، أصبح من المستحيل عملياً اتباع ممارسات النظافة اللازمة للحد من انتشار المرض. في ولاية الجزيرة، أدى النزوح الجماعي إلى حرمان السكان من المياه النظيفة والغذاء والرعاية الصحية الأساسية، مما فاقم من خطر انتشار الوباء.

شهدت منطقة النيل الأبيض خلال الشهرين الأولين من عام 2025 ارتفاعاً حاداً في حالات الكوليرا، حيث أصابت 2،700 شخص وأودت

بحياة 65 آخرين. وفي الأسبوعين التاليين، أصيب 2،700 شخص إضافي وتوفي 92 آخرون. وقد تتبع المحققون تفشي المرض إلى حادثة محددة: صاروخ أطلقته قوات الدعم السريع أصاب محطة توليد الكهرباء في مدينة ربك في 16 فبراير، مما أدى إلى توقف مضخات المياه عن العمل واضطرار السكان للاعتماد على مصادر مياه غير آمنة.

لماذا تعجز المستشفيات عن مواجهة الوباء رغم الجهود المبذولة؟

تحركت وزارة الصحة السودانية لاحتواء تفشي المرض، لكن الاستجابة لم تكن كافية بالنظر إلى حجم الكارثة. في أواخر فبراير، أطلقت وزارة الصحة بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية واليونيسف حملة تطعيم في ولاية النيل الأبيض استهدفت مليون شخص. كما أنشأت منظمة أطباء بلا حدود مراكز لعلاج الكوليرا في مناطق متعددة، لكن الطلب على الخدمات ظل يفوق الموارد المتاحة بشكل كبير.

في مستشفى كوستي التعليمي، اضطر الطاقم الطبي إلى علاج بعض المرضى على الأرض نظراً لنقص الأسرّة المتاحة، في مشهد يعكس الضغط الهائل على المرافق الصحية المتبقية. حتى قبل الحرب الأهلية، كان النظام الصحي في السودان يعاني من نقص التمويل والتجزئة ونقص حاد في القوى العاملة الصحية، مع تفاوتات كبيرة في الوصول إلى الرعاية الصحية وجودتها. أما الآن، فقد أفادت منظمة الصحة العالمية أن الصراع العنيف أجبر 70% من مرافق الرعاية الصحية العامة والخاصة في الولايات المتضررة على الإغلاق بحلول نهاية عام 2023، بينما تشير بيانات وزارة الصحة الاتحادية إلى أن أكثر من 30% من المستشفيات العامة لم تعد تعمل في غضون عام من بدء الحرب.

هل أصبح استهداف المستشفيات والكوادر الطبية استراتيجية حرب؟

لم تكن الهجمات على المرافق الطبية عشوائية بل متعمدة في كثير من الأحيان. تشير التقارير إلى اعتداءات مستهدفة على العاملين في مجال الرعاية الصحية ونهب المستشفيات، مما عرقل بشدة تقديم الخدمات الأساسية. يواجه العاملون في مجال الرعاية الصحية في السودان ظروف عمل متردية، ويفتقرون غالباً إلى العلاجات الطبية الأساسية، بما في ذلك المحاليل الوريدية

والمضادات الحيوية وأملاح الإماهة الفموية.
فرّ العديد من الأطباء والممرضين من البلاد هرباً من العنف وعدم الاستقرار، مما فاقم الأزمة، بينما لا يتلقى العاملون الصحيون المتبقون رواتبهم في مواعيدها. كما أدى انعدام الأمن السياسي إلى تعطيل سلاسل التوريد، مما أعاق نقل الإمدادات الطبية والعلاجات الضرورية.

ما مصير ملايين النازحين في ظل أكبر أزمة نزوح في العالم؟

وصل النزوح في السودان إلى مستويات غير مسبوقة، حيث نزح داخلياً حوالي 8.6 مليون شخص، في أكبر أزمة من نوعها عالمياً. وفرّ نحو 3 ملايين شخص إلى دول مجاورة، بما فيها جمهورية أفريقيا الوسطى وتشاد ومصر وإثيوبيا وجنوب السودان. ومع ذلك، يواجه العديد من طالبي اللجوء عقبات في الدخول، مما يجبرهم على العودة إلى الظروف المحفوفة بالمخاطر التي سعوا للهرب منها.
تكافح مخيمات اللاجئين المكتظة في الدول المجاورة لاستيعاب تدفق الوافدين الجدد، كما أن ندرة الموارد الطبية تعيق جهود احتواء تفشي الأمراض، بما في ذلك الكوليرا. وقد أدى الصراع المستمر إلى تعطيل أنظمة المراقبة الصحية، مما صعّب تطبيق التدخلات المناسبة في الوقت المناسب.

كيف تؤثر العقبات البيروقراطية والأمنية على وصول المساعدات الإنسانية؟

تواجه الوكالات الإنسانية عقبات كبيرة في تقديم المساعدة بسبب العوائق البيروقراطية مثل تأخير التأشيرات والقيود المفروضة على الحركة والعمليات بسبب النزاع. في فبراير، علّقت منظمة أطباء بلا حدود أنشطتها في مخيم زمزم بشمال دارفور، مشيرةً إلى «مستوى غير مقبول من المخاطر» بعد إطلاق النار على سيارتي إسعاف.
منذ عام 2023، قدمت اليونيسف 13.7 مليون جرعة لقاح فموي ضد الكوليرا، ولكن مع انخفاض معدلات التطعيم الوطنية من 85% إلى 50% بسبب النزاع، دعت الوكالة إلى توفير 750 ألف دولار أمريكي كمساعدات لتوفير استجابة طارئة شاملة للكوليرا. ودعت منظمات مثل أطباء بلا حدود الأطراف المتحاربة إلى منح وصول غير مقيد لإيصال المساعدات.

هل يمكن للمجتمع الدولي أن يتجاوز دور المتفرج في الأزمة السودانية؟

كانت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية أكبر مانح إنساني للسودان، حيث قدمت ما يقرب من 44% من إجمالي التمويل الإنساني، والذي بلغ 126.5 مليون دولار أمريكي حتى 10 مارس. ونتيجةً لأوامر وقف العمل، تعطلت 335 منشأة صحية في السودان. كما توقفت فجأةً برامج المياه والصرف الصحي والنظافة، وهي برامج بالغة الأهمية لمكافحة انتشار الكوليرا.
حشدت المنظمات الدولية، بما فيها منظمة الصحة العالمية ومنظمة أطباء بلا حدود، جهودها لتقديم مساعدات طارئة، إلا أن الوصول إلى المحتاجين لا يزال يمثل تحدياً كبيراً. وفي ضوء فشل مفاوضات وقف إطلاق النار في 15 أبريل، يتعين على القادة الدوليين مواصلة الضغط من أجل التوصل إلى حل.

ما هي الرؤية المستقبلية لنظام صحي مستدام في السودان؟

يتطلب نظام الرعاية الصحية في السودان استثماراً طويل الأجل لإعادة بنائه. ومن شأن الإصلاحات الجذرية أن تمنع تفاقم الأزمة وتبني نظاماً قادراً على مقاومة تفشي الأمراض في المستقبل. يؤكد انعدام الاستقرار خلال الأزمة على الحاجة إلى استراتيجية طويلة الأمد لإعادة بناء نظام الرعاية الصحية في السودان، وبناء بنية تحتية صحية عامة مكتفية ذاتياً ومقاومة للنزاعات.
إن الأنظمة الصحية المستدامة والمرنة ليست ترفاً في أوقات السلم، بل هي أساسٌ ضروريٌّ لبقاء أي بلد وسلامته. ولإنقاذ الأرواح، ينبغي على السودان أن يتحرك بسرعة وحزم لتعزيز نظامه الصحي لمواجهة تفشي الكوليرا الحالي وما بعده، مع ضرورة دعم المجتمع الدولي لهذه الجهود بشكل مستدام ومنسق.

البلد دي ماشة وين..؟

حيدر المكاشفي

ملخص

يطرح الكاتب سؤالاً وجودياً يتردد في الشارع السوداني: «البلد دي ماشة وين؟»، ويعكس من خلاله حالة الحيرة الجماعية تجاه مصير البلاد، حيث أصبح الجميع - من عامة الناس إلى القادة السياسيين والعسكريين - عاجزين عن فهم الواقع أو التحكم في مسار الحرب التي خرجت عن سيطرة الجميع، مثلها مثل الحب الذي يسهل بدؤه ويستحيل نسيانه.

يناقش النص فكرة خاطئة يتداولها البعض، وهي أن انتصار طرف في الحرب سيكون نهاية للأزمة، مؤكدًا أن الحرب ليست سوى عرض لأزمة سياسية عميقة لن تحل بانتهائها، بل تحتاج إلى معالجة جذرية تقوم على الوفاق الوطني والتعايش السلمي، وإلا ستظل البلاد تدور في حلقة مفرغة من الدمار.

يؤكد المحتوى أن الحل الوحيد يكمن في تجاوز منطق الاستقطاب والصراع، واللجوء إلى الحكمة والتفاوض، حيث إن استمرار الحرب لن ينتج سوى مزيد من الخراب، بينما تحتاج البلاد إلى «إطفائيين» يخمدون النار بدلًا من إشعالها، وإلى مشروع وطني جامع يعيد اللحمة الاجتماعية ويستجيب لمطالب الثورة.

يختتم الكاتب بالتساؤل عن إمكانية وجود «طريق ثالث» يتجاوز الصراع الحالي، طريق يقوم على توافق وطني حقيقي يضمن مشاركة الجميع في بناء الدولة، بعيدًا عن الأجندات الضيقة والمصالح الشخصية، لأن البديل الوحيد هو استمرار السقوط في الهاوية، حيث لا منتصر في حرب تأكل الجميع.

«البلد دي ماشة لي وين والحرب حتنتهي متين»، سؤالان ظل يصفعني بهما كل من يعلم اشتغالي بالصحافة، ويظن وبعض الظن (ماسورة) أنني بسبب هذه الشغلانة من العالمين ببواطن الحرب والمطلعين على خفايا (الأمور)، وهذه الأسئلة وغيرها أصبحت من متلازمات الحياة اليومية في السودان، تواجهك أينما حللت واتجهت في الشوارع والأسواق وفي الأفراح وفي الأتراح، بل وحتى كمدخل تعارف من أناس تلتقيهم لأول مرة. وبالطبع لم أكن أجيب بغير وما المسؤول بأعلم من السائل، على رأي القائل (نحنا بقينا ما فاهمين أي حاجة، ولاااا الوضع بقي ما فاهمنا، ولاا أنحنا ما فاهمين الوضع، ولا الجوه فاهم الوضع، ولا البره فاهم الوضع، ولا الجاي فاهم الوضع، ولا الماشي فاهم الوضع). والفهم ذاتو ما مفهوم فهمو شنو، ونضيف من عندنا ولا البلابسة فاهمين الوضع ولا البرهان ذاتو فاهم الوضع ولا كباشي ولا ياسر العطا ولا إبراهيم جابر ولا كرتي ولا عقار ولا مناوي ولا جبريل ولا طمبور ولا أردول ولا حميدتي ولا أبو كيعان كلهم فاهمين الوضع، فالقاعدة تقول إن من يشن الحرب لا يعلم متى تتوقف وأين تتوقف وكيف تتوقف، فالحرب في رواية أخرى كالحب من السهل أن تبدأها ولكن من الصعب أن تنهيها ومن المستحيل أن تنساها. لأن الحرب تجسيد للكراهية وانتصار لثقافة الموت والنهب والإبادة الجماعية، وكذلك تفاقم الحرب أيضاً الفقر وتولد المجاعات والأوبئة، وبالإضافة إلى الدمار والأنقاض التي تحدثها تترك جروحاً مفتوحة لا تندمل في ذاكرة الشعوب وقلبها. فأيما إنسان عاقل يستطيع أن يرى في الحرب وصورها المشؤومة مظهراً من مظاهر الشر المطلق، وظني أن حال كل هؤلاء المار ذكرهم، يماثل حال الطرفة التي تحكي أن فتاة ذهبت إلى أحد المحال المتخصصة في بيع لوازم السيدات والآنسات لتشتري (لبسة) فاختارت (بلوزة) و(إسكيرت) وسألت شاباً كان يقف بجوارها، ويبدو أنه كان مسطولاً فقالت له (البلوزة دي ماشة مع الإسكيرت ده) فرد عليها حسب السطلة (وهو الإسكيرت ماشي وين؟)، وإن كان لي أن أرد على سؤال البلد دي ماشة وين على غرار الطرفة، فلن أزيد على أن أقول (وهي البلد دي أصلًا ماشة عشان نعرف ماشة وين)، ولو افترضنا جدلًا أنها ماشة فالمؤكد أنها (ماشة لي وراء).

الشاهد أن البعض يعتقد خاطئاً أن استمرار الحرب حتى إلحاق الهزيمة الساحقة بالمليشيا بل وإفنائها تمامًا، هو نهاية لكل أوجاع البلد وأسقامها وكوارثها وأزماتها، وأن السودان بعد

ذلك سيستشرف أوضاعًا عامرة بالرخاء والنماء والاستقرار والإعمار، ولكن يغيب عن هؤلاء أن الأزمة التي صنعت هذه الحرب، هي في أسها وأساسها أزمة سياسية، وأن الحرب إنما هي نتيجة طبيعية لهذه الأزمة السياسية، وأن الحرب كانت أهم تجليات تلك الأزمة السياسية الخانقة، ولن تزول مشاكل البلاد وأزماتها المختلفة وكوارثها إلا بمعالجة الأزمة السياسية، كما لا بد من استصحاب الواقع الحالي بكل تعقيداته وإرثه السلطوي الذي ما يزال يزيد الأزمة السياسية تصعيداً، وإذا ما كنا جادين في حل الأزمة السياسية وتجاوزها وصولًا لحل كل المشكلات والأزمات الأخرى اقتصادية كانت أو أمنية أو اجتماعية وحتى ثقافية، هناك قضيتان أساسيتان لن يتم تجاوز الأزمة السياسية دون أن يتحققا، أولى القضيتين هو الوفاق الوطني، ولن يتحقق الوفاق الوطني إلا في وجود دولة يشارك الجميع في صناعتها ويعمل على إدارتها الناس بمختلف فئاتهم وأفكارهم ومواقعهم وتعدد رؤاهم، فهذا شرط وجوب لن يتم أي علاج لأزماتنا في غيابه، وثاني القضيتين هو التعايش السلمي وهو ما يتطلب إنهاء سيناريو الحروب وإزالة الاحتقان السياسي السائد، ولن يستطيع اقتصاد الوطن المنهك والهش الآن أن يتحمل تبعات حرب تبتلع كل إمكانات الدولة المالية فتأكل الحرب الموارد وتطالب بالمزيد، والقتلى يتساقطون والمرافق العامة تدمر وفاتورة الإنفاق الأمني تتصاعد وما زالت الحرب حبلى تلد كل يوم عجيب. ففي حالة الاحتقان والاستقطابات الجارية الآن التي بلغت مداها، والانقسام الذي ضرب كافة فئات المجتمع، يبقى الأهم اليوم هو البحث عن الحكمة الغائبة حتى الآن، الحكمة المطلوبة لحل أيما مشكلة أو قضية عن طريق التفاوض والتراضي والاتفاق وليس أي أسلوب غيرها، فتلك هي خبرة البشرية ودرس التاريخ وسنته الماضية، فلا أقل من أن نعتبر بها، ولهذا سنظل دعاة تلاحم وتلاق وطني، ولن ندعو إلى شحن النفوس وإزكاء ما يفرق حتى يعم الخراب كل الأنحاء والأرجاء، فحاجة البلاد الآن إلى حكماء يطببون جراحها وليس حكامات يزيدون حريقها، بل إطفائيون يعملون على التهدئة لا الشعللة، ويعنّ لي هنا أن أتساءل ببراءة وطنية خالصة عن مدى إمكانية افتراع طريق ثالث مؤداه الشعب لا يريد شيئاً غير أن يأتلف الجميع ويلتقوا في رحاب الوطن الكبير، ويجمعوا على كلمة سواء تستوعب الكل بلا إقصاء لكل راغب بصدق وجدية في التغيير ولم يتلوث بفساد ولم تتلطخ يداه بدم، وذلك بأن يتوافقوا على برنامج حد أدنى يلملم شتات البلاد أولاً ويعصمها من الانزلاق إلى مآلات التشرذم والتفتت، التي انزلقت إليها بعض دول الجوار، ويستجيب ثانياً للمطلوبات الأساسية التي طالب بها ثوار ديسمبر وتحتاجها عملية بناء أمة هي بكل المقاييس لا تزال تحت التكوين وبناء دولة تحتاج الكثير حتى تقف على رجليها كتفاً بكتف مع من سبقنها في مجالات التطور والبناء، وهذه مهمة شاقة حتى ولو توافر عليها الجميع بروح النفير دعك من جماعة واحدة مهما ادَّعت من قدرات وملكات، فالحاجة الحقيقية والماسة التي تحتاجها البلاد بأعجل ما تيسر ليست هي - بأية حال - الصراعات والاستقطابات والمكايدات والمماحكات والتكتيكات والتلاعب بالشعارات، بل الحاجة إلى أن نوجد أولاً وطناً متماسكاً بوحدته الوطنية وقوياً ببنيته الأساسية، لا أن ينخرط السياسيون وينغمسوا في صراع وملاسنات حول لا شيء، فما يسود الساحة ويسوّد المشهد الوطني الآن من هرج ومرج واختلافات وانشقاقات حتى بين أهل التوجه الواحد والتنظيم الواحد والحزب الواحد، في الوقت الذي تفتقر فيه البلاد لأبسط الخدمات الضرورية التي إن وجدت لن يجد الكثيرون المال الذي يوفرها لهم، فذلك لا يبني وطناً بقدرما يهدم حتى القليل الموجود وبرنامج الحد الأدنى المطلوب صياغته والالتفاف حوله ليس شيئاً عصياً إذا ما خلصت النيات وتوفرت العزائم وخلت النفوس من الأطماع الحزبية والتطلعات الشخصية، وليس هو مما يمكن أن يثير حفيظة أحد أو يتسبب في تحفظ جهة، وإنما بالعكس تماماً فهو برنامج يشكل البؤرة التي يلتقي حولها الجميع، فمن ذا الذي يعارض أو يتحفظ على برنامج تقوم سداته على مشاركة الجميع في حكم وإدارة شؤون بلادهم، ويجعل أي مواطن يشعر بأن نظام الحكم القائم يمثله وله فيه نصيب، ولحمته التنمية والنماء والتطور وحل المشاكل التي أضحت مزمنة منذ عهد الاستعمار، واجتثاثها من جذورها، وليس أدلّ على الخيبة التي نعيشها، من هذه المشاكل المتكررة بذات اسمها مع الزيادة المضطردة في حجمها عاماً تلو عام منذ عام الاستقلال والى الآن، وكأنما قدر هذه البلاد أن تظل تراوح مكانها وتدور في حلقة مفرغة، ومن بعد الفراغ من هذه المهمة الوطنية الجليلة والعظيمة فليطبق من شاء البرنامج الذي يريد محمولاً بإرادة الجماهير وليس مجنزرات الدبابات، فهل هذا عصي أو عسير أم أنه برنامج طوباوي خيالي مثالي لا حظّ له إلا في دولة من الملائكة؟

مهنيون رهن الاعتقال... حين تسجن السياسة القانون

ملخص

القانون كأداة قمع: تحولت الأجهزة القضائية في السودان إلى أدوات لتصفية الخصوم السياسيين تحت غطاء الشرعية القانونية، حيث يواجه مئات المهنيين - محامون ومعلمون وصحفيون - تهمًا ملفقة تصل عقوباتها للإعدام، في إطار حملة منهجية تستهدف كل صوت معارض للحرب. فاعتقال المحامي منتصر عبد الله بعد طلبه الاطلاع على ملفات التحقيق، واحتجاز المعلم محمد بابكر دون محاكمة، وتوقيف الصحفية امتثال سليمان تعكس تحويل القانون إلى «بندقية سياسية» أكثر فتكًا من الرصاص.

الاستخبارات العسكرية تحل محل القضاء:

تجاوزت هيئة الاستخبارات العسكرية صلاحياتها القانونية بممارسة دور النيابة العامة والقضاء معًا، حيث تمارس التعذيب الجسدي والنفسي لانتزاع اعترافات قسرية كما في حالة المعلم بابكر، بينما تُحرم العائلات من حق الزيارة الأساسي. هذه الممارسات تشير إلى تفكك كامل لفصل السلطات، وتحول المؤسسات الأمنية إلى «محاكم ميدانية» تسحق حقوق المدنيين تحت ذريعة «حماية الأمن القومي».

المهنيون بين جحيمي الحرب والقمع:

بعد أن كانوا وقود ثورة ديسمبر 2018، أصبح المهنيون - من معلمين ومحامين وأطباء - الهدف الأبرز لآلة القمع، حيث يُعتقلون بتهمة «التعاون مع العدو» لمجرد أداء واجباتهم المهنية في المناطق التي سيطرت عليها قوات الدعم السريع مؤقتًا. تقارير حقوقية تكشف أن سجون مثل ود مدني تحولت إلى «مقابر للكرامة المهنية»، حيث يُحرم الأطباء من أبسط حقوق الدفاع عن أنفسهم أمام محاكم هزلية.

صحافة بلا حماية وقضاء بلا سيادة:

غياب الضمانات القانونية للصحفيين - كما في حالة امتثال سليمان التي أُطلقت سراحها دون تفسير - يؤكد تحول الاعتقالات إلى أدوات ترهيب عشوائية. النقابات المهنية التي كانت درعًا للثورة أصبحت عاجزة عن حماية أعضائها، في مشهد يكرس سقوط الدولة لصالح «سلطة المزاج الأمني»، حيث تُختزل العدالة إلى مجرد قرارات فردية تتغير بتغير خطوط القتال، وتُدفن حقوق الإنسان تحت أنقاض الحرب.

«نسينا شكل النقود».. يقول عبد الله يوسف الموظف في إحدى المؤسسات الرسمية بالسودان. حالة عبد الله لا تبدو استثناء، مئات الآلاف من موظفي الحكومة لم يتلقوا رواتبهم منذ اندلاع الحرب بين الجيش وقوات الدعم السريع قبل عامين. لكن حال الذين لم يتلقوا رواتبهم بدا أفضل وبمراحل من أوضاع مهنيين آخرين وجدوا أنفسهم تحت مطاردة السلطات بتهم تصل عقوباتها للإعدام، وللمفارقة هم متهمون بجرائم موجهة ضد الدولة، يقبعون في معتقلاتها وفي انتظار المحاكمات.

حسنًا، وفي حضور أسئلة حرب أبريل السودانية، حرب من وضد من وما هو هدفها؟ برزت في الآونة الأخيرة موجة من الاعتقالات طالت مهنيين «معلمين.. محامين وصحفيين»، وسط اتهامات للنيابة العامة بتوظيف القانون لخدمة مرامي سياسية، وهي الاتهامات التي تنفيها النيابة العامة عبر بياناتها الرسمية التي تؤكد من خلالها قيامها بدورها في ملاحقة ما تعتبره جرائم موجهة ضد الدولة .

في سياق تفسيرها لما يجري بأنه حرب ضد الدولة السودانية، قيدت النيابة العامة بلاغات في مواجهة رئيس الوزراء السابق عبد الله حمدوك، وعدد من القيادات السياسية المعارضة للحرب. لكن المفارقة تم اعتقال المحامي منتصر عبد الله سليمان، بعد تقديمه طلبًا للنيابة العامة من أجل الاطلاع على ملف التحقيقات في القضية المرفوعة ضد حمدوك وآخرين. بالطبع عملية اعتقال منتصر أثارت السؤال الرئيسي

حول حدود الحقوق القانونية للمحامين، ونفت النيابة بشدة أن يكون اعتقال منتصر له صلة بالطلب الذي تقدم به حول القضية، وإنما لمخالفات قانونية أخرى، فيما يؤكد «محامي الطوارئ» أن التهم التي يواجهها منتصر ملفقة، وتؤكد على توظيف الإجراءات القانونية في المعارك السياسية .

في مدينة الدمازين ومنذ يناير للعام 2024 يخوض المعلم والناشط النقابي محمد بابكر معركته في المعتقل دون أن يتم تقديمه لمحاكمة، فيما يقول سامي الباقر الناطق الرسمي باسم لجنة المعلمين، إن عمليات الاعتقال التي تطال المعلمين ومنسوبي اللجنة لا تخلو من الظلال السياسية، مشيرًا في الوقت نفسه أن شريحة المعلمين تعرضت لكافة أشكال الانتهاكات في فترة الحرب.

الحرب هي الانتهاك الأكبر لكن حتى الذين منوط بهم كشف هذه الانتهاكات يتعرضون لها.. الأسبوع الفائت أوقفت السلطات الأمنية في ولاية كسلا الصحفية المستقلة امتثال سليمان»، وتعرضت امتثال التي تم إيقافها في أحد الارتكازات للحبس لمدة ثلاثة أيام قبل أن يطلق سراحها، وهي الخطوة التي وصفها بيان صادر عن نقابة الصحفيين بالمخالفة للضوابط القانونية المتعارف عليها، وفي الوقت ذاته لا تملك نقابة الصحفيين أو غيرها من النقابات وسيلة للضغط لإيقاف مثل هذه السلوكيات التي بدت وكأنها ملمح أساسي من ملامح سودان الحرب، حيث أن عمليات الاعتقال وإطلاق السراح تتم وفقًا لمزاجية النظامي الذي ينفذها ما يؤكد وبشكل كبير غياب سلطة القانون، وأن قانون الحرب هو الذي يضبط سلوك النظاميين ويضع المدنيين تحت رحمتهم.

بالنسبة للقانوني المعز الحضرة، الناطق الرسمي باسم الهيئة القومية للدفاع عن الحقوق والحريات، فإن ما يجري من اعتقالات الآن لا يستند على وقائع قانونية، بل يمثل أعلى درجات استغلال السلطات للأجهزة القانونية بغية تحقيق أهدافها السياسية، وهي الأجهزة ذاته التي يتم استغلالها لمواجهة دعاة رفض الحرب. وهو مشهد يمكن متابعته وبشكل يومي في المحاكم المختلفة التي تنظر قضايا تحت دعاوى «التعاون» مع قوات الدعم السريع، كما أن السجون التي عادت للعمل في المدن التي استعاد الجيش سيطرته عليها تعج بالمعتقلين تحت طائلة هذه القضايا، الذين يتم حبسهم في ظروف غير إنسانية بحسب تقارير لمهتمين حول سجن ود مدني، إذ تم إيقاف أطباء كانوا يعملون في مستشفى المدينة، وظلوا يؤدون واجباتهم ويقدمون الخدمة العلاجية أثناء سيطرة قوات الدعم السريع على ولاية الجزيرة قبل أن يتم إطلاق سراحهم مؤخرًا.

في قضية الأستاذ محمد بابكر فإن بيانًا صادرًا عن لجنة المعلمين السودانيين اتهم هيئة الاستخبارات العسكرية باعتقاله، وتعريضه للتعذيب الجسدي والنفسي وسوء المعاملة، مع حرمان أسرته من زيارته وهو المدني الذي اضطر للهروب من مقر إقامته بأم درمان للدمازين بسبب وصول قوات الدعم السريع. وقالت اللجنة إن بابكر أجبر على الإدلاء باعترافات أمام محكمة محلية في ولاية النيل الأزرق في مخالفة واضحة لمبادئ العدالة والقوانين، مشيرًا إلى أنه لا يجوز قانونًا لأي جهة غير النيابة العامة ممارسة سلطات القبض والتحقيق. بالطبع يضع البيان سؤالًا آخر مفاده هل يجوز لهيئة الاستخبارات العسكرية مباشرة إجراءات القبض والتحقيق مع المدنيين؟

بعد عامين من الحرب وسنوات ست من الثورة التي أشعل فتيلها «المهنيون» السودانيون ضد نظام الرئيس المخلوع البشير، يجد المهنيون السودانيون أنفسهم في مواجهة سيل من الانتهاكات، تبدو فيها عملية عدم الحصول على رواتبهم الأقل حدة مقارنة مع ما يواجهه آخرون قد يجدون أنفسهم وقد فقدوا أرواحهم.

الصورة الآن معلم في محابس الاستخبارات في الدمازين، ومحامي معتقل في بورتسودان، وصحفية تم القبض عليها وإطلاق سراحها دون أن تجد إجابة عن السؤال لماذا حدث ما حدث؟ ومئات يواجهون ذات المصير دون أن تسلط على معاناتهم كاميرات الإعلام.. وما لا يمكن العبور فوقه هو العودة للوراء، حيث زمان القانون في خدمة السلطة. والحرب إن لم ترديك بإطلاق النار مباشرة على صدرك سترديك عبر قانونها الخاص.

محمد المكي إبراهيم.. شـــاعر الأمـة الســـودانية

طاهر المعتصم
taherelmuatsim@gmail.com

ملخص

يُجسّد محمد المكي إبراهيم روح السودان المتشبعة بالتنوع الثقافي، حيث نشأ في كردفان بوتقة التمازج بين العرب والأفارقة، وترعرع بين حقولها ومواشيها، ليتشكل وعيه المبكر بالهوية السودانية المزدوجة بين الأفريقانية والعروبة، وهو ما سيصبح لاحقًا محور إبداعه الشعري والفكري.

برز نجمه الأدبي مع جماعة «الغابة والصحراء» التي أسسها مع رفاقه في جامعة الخرطوم، حيث حاولوا الإجابة عن سؤال الهوية السودانية، كما تحول إلى شاعر للثورة بأغنياته التي خلّدت ثورةً أكتوبر 1964، مثل «أكتوبر الأخضر» التي غناها محمد وردي، لتصبح نشيدًا وطنيًا غير رسمي.

تنوعت إبداعاته بين الشعر والبحث الفكري، حيث أصدر ديوان «أمتي» و«بعض الرحيق أنا.. والبرتقالة أنت» الذي طرح فيه مفهوم «الخلاسية» كتعريف للهوية السودانية، كما كتب «الفكر السوداني: أصوله وتطوره» كأول محاولة لتأصيل الثقافة السودانية، بينما عمل دبلوماسيًا متنقلًا بين عواصم العالم حتى اضطره نظام البشير إلى الهجرة لأمريكا.

رحل الشاعر في سبتمبر 2024 بمصر، تاركًا إرثًا شعريًا يخلد تاريخ السودان ونضالاته، من ثورة أكتوبر إلى حلم الوحدة الوطنية، حيث ظل حتى آخر أيامه يؤمن بدور الشعر في صناعة التاريخ، كما في قصيدته: «من غيرنا يعطي لهذا الشعب معنى أن يعيش وينتصر»، لتبقى كلماته شاهدًا على عصرٍ من التحولات الكبرى في السودان.

الكتابة عن محمد المكي إبراهيم ليست بالأمر الهيّن، بل هي أقرب ما تكون لمحاولة القبض على الضوء، أو كما قال أبو الطيب المتنبي في وصفه لشعب بوان: «دنانير تفرّ من البنان». فالرجل موسوعة نابضة بالإبداع، تتقاطع فيها طرائق الشعر والصحافة والدبلوماسية، ويتنقل فيها من أعماق السودان وظلال جامعة الخرطوم في ستينياتها الذهبية، إلى أرخبيلات زنجبار وقرنفلاتها العطرة ، فإلى قلب العالم الجديد في بلاد العم سام.

في عام 1939، أطلق محمد المكي إبراهيم صرخته الأولى في ضواحي مدينة الأبيض، عاصمة إقليم كردفان غربي السودان، وقتها كانت مدافع الحرب العالمية الثانية تهزّ أركان الدنيا. نشأ في تلك المدينة التي كانت، شأنها شأن مدن سودانية عديدة، بوتقة للتمازج الثقافي والتسامح الديني، ومقصدًا لتجار المحاصيل والمواشي من العرب والأوروبيين، حيث تعانق مآذن المساجد أجراس الكنائس في مشهد نادر. ويقول شاعرنا، مستعيدًا حنين تلك الأيام، إنه عمل مع والده في الزراعة وتربية المواشي، ما زرع في وجدانه ارتباطًا أصيلًا بالأرض وتقلبات المواسم.

تلقى تعليمه الأولي في الأبيض، ثم التحق بمدرسة خورطقت الشهيرة، إحدى أعرق ثلاث مدارس وقتها، وهناك بزغت موهبته الشعرية مبكرًا، حيث أبدع في الجمعيات الأدبية. ومن خورطقت اتجه صوب جامعة الخرطوم، طالبًا بكلية القانون في ستينيات القرن الماضي؛ ذلك العقد الذي وُصف بأنه زمن النجوم اللامعة في السياسة والفكر والفن والرياضة، بل وحتى في التمرد، إذ كانت له وسامة تشي جيفارا ومثاليته.

كان السودان آنذاك حديث الخروج من براثن الاستعمار، ولم تمضِ سوى أعوام قليلة حتى تسلّطت قبضة العسكر على الحكم، فأطاحت بأول تجربة ديمقراطية في انقلاب 1958.

في أروقة جامعة الخرطوم، وجد محمد المكي إبراهيم مشهدًا ثقافيًا صاخبًا، وزامَل الشاعر النور عثمان أبكر، ليكونا معا نواة جماعة «الغابة والصحراء»، التي تحوّلت لاحقًا إلى تيار فكري وأدبي بارز، انضم إليهم من غير بعيد محمد عبد الحي، صاحب رائعة «العودة إلى سنار»، وغيرهم ممن سعوا للإجابة على السؤال الأزلي: من نحن؟ في وطن أفريقي تتجذر فيه الثقافة العربية.

ثم اندلعت ثورة أكتوبر عام 1964، وكانت جامعة الخرطوم شرارتها الأولى، مصبوغة بدم القرشي طالب الجامعة وشهيد الثورة الأول. فجادت قريحة محمد المكي إبراهيم بالجزل النادر، وسطع نجمه كأحد شعراء الثورة، وتم تتويجه بـ«شاعر الأكتوبريات»، بقصائده التي خلدت تلك اللحظة الفارقة، وعلى رأسها «أكتوبر الأخضر»، التي لحّنها وأداها بلحنٍ خالد الموسيقار السوداني الكبير محمد وردي (1932–2012)، فارتفعت بها هامات جيلٍ بأكمله، وما زالت تتردد في جنبات الذاكرة الوطنية كل ما حان وقتها.

اسمك الظافر ينمو
في ضمير الشعب
إيماناً وبشرى
وعلى الغابة والصحراء
يمتد وشاحًا..
وبأيدينا توهّجت
ضياءً وسلاحًا
وتسلّحنا بأكتوبر لن نرجع شبرًا..
سندق الصخر
حتى يخرج الصخر لنا زرعًا وخضرًا
ونرود والمجد
حتى يحفظ الدهر لنا اسمًا وذكرى...
الحقول اشتعلت
قمحًا ووعدًا وتمنّي
والكنوز انفتحت
في باطن الأرض تنادي
باسمك الشعب انتصر
حاجز السجن انكسر
والقيود انسدلت
جزلة عرسٍ في الأيادي
كان أكتوبرُ في أمّتنا منذ الأزل
كان خلف الصبر والأحزان يحيا
صامدًا منتظرًا
حتى إذا الصبح أطل
أشعل التاريخ نارًا واشتعل
كان أكتوبر في قبضتنا الأولى
مع المك النمر
كان أسياف العشر
ومع ألماظ البطل
حين دعاه القرشي
حتى انتصر...

في العام 1965 وجامعة الخرطوم تدخل في عطلة طويلة، يغادر داخلية الطلبة هو ورفيقه النور

عثمان بابكر ملبيًا دعوة زميلهم محمد عبدالحي للإقامة خلال فترة عطلة الجامعة معه بمنزل جدته، بدلًا عن السفر إلى مسقط رأسيهما، فيستثمروا تلك الفترة في تأسيس تيار شعري جديد هو تيار الغابة والصحراء، ويعكف محمد المكي ذو الخمس وعشرين ربيعًا في تأليف كتابه الأول (الفكر السوداني.. أصوله وتطوره) الذي نشرته (مطبعة ارو التجارية) في طبعته الأولى 1976 والثانية 1989م، يقول الباحث السوداني محمد الجيلاني لكاتب المقال، إنه أول تأسيس نظري لفكر سوداني، ود المكي في كتابه هذا تتبع أصول الثقافة السودانية، الميلاد الحقيقي للثقافة العربية في السودان يبدأ بعهد الفونج 1505-1821.

يقول في كتابه (ولكن هذا لا يعني أن العربية لم تدخل السودان إلا مع ذلك العهد لأنه ثابت أن الثقافة العربية اكتسبت مكانها المشروع بين ثقافات السودان في طليعة الغزو وليس على أعقابه، فقد تسربت مع قوافل الحجيج. وفي إخراج التجار وحقائب الدعاة والمسافرين، وعلى الدوام كان المسجد يقام والأذان يدوي في ممالك السودان المسيحية لتأتي على صداه جحافل الفتح العربي، بل إن تاريخ الثقافة العربية في السودان يضرب في أعماق التاريخ إلى بعد أعمق من ذلك يعود إلى ما قبل الإسلام وإلى أيام الخلفاء الأوائل، ولكن تلك البواكير لم تخرج عن مستوى اللقاء العابر إلى مجالات التأصيل والترسيخ).

كما أصدر «بين نار الشعر ونار المجاذيب - حياة وشعر محمد المهدي المجذوب»، و«ظلال وأفيال»، و«في ذكرى الغابة والصحراء».

خلال سنوات الجامعة، انقطع شاعرنا عن الدراسة، لفترة عام أو يزيد قضاها في ألمانيا، برفقة زميله في تأسيس جماعة الغابة والصحراء الشاعر النور عثمان بابكر، هذه الرحلة بحسب شاعرنا كان لها الأثر البالغ في الانفتاح الإيجابي نحو العالم، وازداد بحثًا في موضوع الهوية، وعند أوبته لاستكمال دراسته الجامعية ونيل إجازة الحقوق، استمرت أعماله الشعرية في الانهمار.

ديوان (أمتي) هو الأول لشاعرنا، وضم قصيدة (قطار الغرب) التي كتبها إبان فترة دراسته الثانوية في مدرسة (خور طقت)، مستدعيًا فيها الماضي مع الحاضر، راسمًا ملامح الشخوص في رحلة القطار ومصورًا اعتلاجات النفس البشرية، وذلك خلال رحلة القطار من مدينة الأبيض عاصمة كردفان إلى الخرطوم عاصمة البلاد.

اللافتة البيضاء عليها الاسم
باللون الأبيض باللغتين، عليها الاسم
هذا بلدي والناس لهم ريح طيب
بسمات وتحايا ووداع متلهِّب
كل الركاب لهم أحباب
هذي امرأة تبكي
هذا رجل يخفي دمع العينين بكمام الجلباب:
«سلّم للأهل ولا تقطع منا الجواب»
وارتجَّ قطار الغرب، تمطَّى في القضبان
ووصايا لاهثة تأتي وإشارات ودخان
وزغاريد فهناك عريس في الركبان

ويقول شاعرنا الكبير تنزلت عليه شآبيب الرحمة في لقاء صحفي ((تخلصت من قصائد كثيرة، من بينها قصيدة يعرفها من حولي، وهم مغرمون بها جدًا، تعرضت فيها بالهجاء لشعراء العرب الصعاليك مثل عروة بن الورد والشنفرى الأزدي، والسليك بن السلكة وغيرهم))

ثم صدر ديوانه الثاني (بعض الرحيق أنا.. والبرتقالة أنت) الذي غاص في بحار اللغة ليخرج بتعبير (خلاسية)،

في اجتهاده في قضية الهوية السودانية بين الأفريقانية والعربية، وذلك في القصيدة التي حمل اسمها الديوان، وهي الأشهر في جيلنا وحتى الآن يتداولها الشباب.

الله يا خلاسية
يا حانة مفروشة بالرمل
يا مكحولة العينين
يا مجدولة من شعر أغنية
يا وردة باللون مسقيّة
بعض الرحيق أنا
والبرتقالة أنت
يا مملوءة الساقين أطفالًا خلاسيين
يا بعض زنجيّة
يا بعض عربيّة
وبعض أقوالي أمام الله

وثالث ورابع دواوينه (يختبئ البستان في الوردة) 1984م، (وفي خباء العامرية) 1988، وهنا أنقل كلمة الشاعر السوداني (حاتم الكناني) في احتفال تكريم منتدى دال الثقافي –رد الله غربته ورد لنا بلادنا التي نحب- والكلمة عن تأثير الديوان على الشعراء.

(((حين وقعت في يدي المجموعة الشعرية (يختبئ البستان في الوردة) للشاعر محمد المكي إبراهيم، كنت في مقتبل الشعر، وكانت ذاكرتي شديدة الحفظ والتأثر والميل إلى تقليد عيون الشعر العربي القديمة والحديثة، ولم تنهض بعدُ قريحتي لتستوعب الخدش الذي تسببت فيه قصيدة التفعيلة من لدن الكأس التي تحطمت لعبد الله الطيب واجتراحات السياب وصلاح عبد الصبور، ونازك الملائكة وقضايا شعرها الحر. كان التقليد حد التمدرس الذاتي على كتابة القصيدة يبرز أولا في كتابتي، حتى أن ذلك ليبدو جليًا حين قرأني أبناء جيلي في الشعر في أوائل الألفية.

والقصيدة لدى شاعرنا محمد المكي شاملة للحسنيين: تحتفي بالبساطة العميقة، وفي قاعها تشكيلة من الكائنات البحرية، وعلى السطح تبدو مرآة الواقع عاكسة وجه الشعر والشاعر والحياة. أزعم أن لي نسبًا شعريًا ينتمي للخؤولة مع قصائد شاعر محمد المكي، والخؤولة، لو علمتم، جنس من الأمومة لكنها مُذكّرة. وأزعم أيضًا أن تأثير (يختبئ البستان) – رغم أنه نقطة من بحر محمد المكي – لم يزل حتى الآن يطبع تصوري الشخصي عن كتابة الشعر. أظن أن أول أثر تركته المجموعة هو عنوانها الخافق بأسرار الوردة:

يختبئ المُعقّد في البسيط، والكثرة في الوحدة، والتنوع في الجنس الواحد، مما أشرت إليه في هذه العجالة الاحتفائية: تختبئ الأشياء في وجودها والأرض في حدودها وتسكن المعاني أسماءها المشجرة. تبدأ المجموعة برثائية رقيقة لأحد أعمدة الشعر السودانية في القرن العشرين – محمد المهدي المجذوب – مرورًا بـ(مدينتك الهدى والنور) – متلبسة بإيقاع المدائح النبوية في السودان – وتنتهي بالقصيدة التي اجْتُرح منها العنوان، وهي تمثيل لفكرة المجموعة وفلسفة الشاعر في الكتابة والنظر إلى الحياة. تساؤل القصيدة الواقع بحرارة:

ستقولون باسم الإله الرحيم انتضينا السيوف
لنعملها في زمان الجهالة وأسائلكم: أين صك الوكالة؟
من أقامك يا حامل السيف ربًا على الناس
والله حي يدبر أمرًا ويمكر مكرًا كبيرًا تعالى))

انتهى حديث شاعرنا (حاتم الكناني)

عقب تخرجه عمل محمد المكي في مهنة القضاء الواقف لحوالي عام، قبل أن يلتحق بالسلك الدبلوماسي وينتقل إلى وزارة الخارجية، مترقيًا في سلم العمل، متنقلًا في محطات عدة، منها مكتب مندوب السودان في الأمم المتحدة، وفي سفارة السودان بالمملكة العربية السعودية، وفي مملكة السويد، ثم سفيرًا في براغ، وانتقل إلى باكستان، وأخيرًا الكنغو، بعد انقلاب البشير عام 1989 ضيق عليه في عمله، فهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

في سبتمبر 2024، أسبل الجفن للمرة الأخيرة بقاهرة المعز التي وصل إليها بعد اندلاع الحرب في السودان.

تعكف لجنة قومية لإقامة ليلة كبرى في الرابع من مايو القادم بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، تخليدًا لذكرى شاعر الأمة السودانية صانع مجدها وموثق معاناتها وانتصارتها، وهو القائل:

من غيرنا يعطي لهذا الشعب معنى أن يعيش و ينتصرْ
من غيرنا ليقرر التاريخ والقيم الجديدةَ والسيرْ
من غيرنا لصياغة الدنيا وتركيب الحياةِ القادمةْ
جيل العطاءِ المستجيش ضراوة ومصادمةْ5
المستميتِ على المبادئ مؤمنا
المشرئب إلى السماء لينتقي صدر السماءِ لشعبنا
جيلي أنا

أطفال السودان...
اللعب بالبنادق

ملخص

يرسم الواقع المرير للأطفال في السودان صورةً قاتمة حيث تحولت البنادق إلى ألعاب، وباتت ساحات القتال مكانًا للترفيه، في ظل غياب المدارس والبرامج الترفيهية التي تستوعب طاقاتهم، مما يدفعهم إلى تقليد مشاهد العنف التي تحيط بهم يوميًا.

تتحول أحلام الطفولة إلى كابوس يومي، حيث يصنع الأطفال أسلحتهم من خردة الحديد، ويقلدون المعارك الحقيقية، بينما يجد الأهل أنفسهم عاجزين عن حمايتهم من تأثير الحرب، خاصة مع انضمام بعض المراهقين إلى القتال الفعلي، مدفوعين بأوهام البطولة والزهو.

تحذر المنظمات الدولية من تداعيات الحرب المدمرة على الأطفال، حيث تضاعفت أعداد المحتاجين للمساعدات الإنسانية، بينما تتفاقم الأزمات النفسية والاجتماعية، مما يهدد بجيل مشوّه ينشأ على العنف، مع إمكانية تحول هذه الألعاب إلى واقع دائم إذا استمرت الحرب.

تطرح التساؤلات الملحة حول كيفية إنقاذ هؤلاء الأطفال من براثن العنف، وإعادة توجيه خيالهم نحو الإبداع والحياة، في ظل بيئة تشجع على القتال وتفتقر إلى أدنى مقومات الأمان، مما يتطلب تدخلات عاجلة نفسية وتربوية قبل فوات الأوان.

وسيلة حسين

يجمع الطفل «مرتضى»، وهو طفل نازح إلى منطقة كرري في العاشرة من عمره، نتفًا صغيرة من خردة الحديد ومواسير مربعة وأخرى أسطوانية وترباسًا قديمًا. يمضي، رفقة اثنين من أصدقائه الصغار يحملان البنادق على كتفيهما، صوب ورشة الحدادة. يضع الأطفال الثلاثة ما جمعوه من حديد قديم أمام صاحب الورشة. يتفاوضون سريعًا حول سعر صناعة بندقية أخرى لمرتضى.

بعد يومين من العمل تستوي خردة الحديد والمواسير بندقية كاملة، لا ينقصها سوى دهانٌ أسود والتعبئة المتخيلة بالرصاص. تتهلل أسارير الطفل مرتضى. يضع بندقيته الجديدة على كتفه وقد تبدلت ملامحه الصغيرة إلى الجدية والجندية. يذهب هو ورفاقه منتظمين في طابور سير عسكري تقليدي إلى اللعب في الساحة المجاورة، وبين أزقة وطرقات الحي المهجور منذ بداية الحرب.

يتمرد مرتضى وأصدقاؤه، كل صباح، على الذهاب للمدرسة التي فتحت أبوابها مؤخرًا بعد عامين من انقطاعهم عن التعليم، في غياب برامج ترفيهية وأكاديمية جاذبة. يفضل هؤلاء الأطفال صناعة وبيع البنادق في ما بينهم ولعب دور المقاتلين في معارك يخوضونها طوال النهار بلا كلل.

يتراوح سعر البندقية بين 5 إلى 15 جنيهًا

بدوره يثبت «حبيب الله»، 13 عامًا، ماسورة أسطوانية، بزاوية إمالة محددة، على الأرض، يرمي في جوف الماسورة كريستالة محشوة بالتراب، ومن ثم يسحبها بحبل، في سرعة

ومهارة، نحو الأعلى، فتنطلق من فوهتها قذيفة مدوية في الفضاء. صنع لنفسه «مدفع هاون» يرمي به الأطفال الذين يردون بالبنادق الرشاشة وهم يتصايحون.

التحق شقيقه الأكبر، الذي لم يكمل 16 عامًا وانقطع تعليمه بداية المرحلة الثانوية، بالجيش مستنفرًا، وخاض، في زهو وبطولة، بين أقرانه، معركة تحرير القصر في الخرطوم. حول حبيب الله، مستلهمًا جندية وبطولة شقيقه الأكبر، البيت لثكنة عسكرية. يجمع فارغ الرصاص ومخلفات الحرب في صندوق كبير، يضع البنادق ومدفع الهاون في الساحة الخلفية للبيت بعيدًا عن مرأى ورقابة والدته.

«تعبتُ منه»

تخبر والدة الطفل «حبيب الله» أنها يئست من تجريده من الأسلحة واللعب بأدوات الحرب وإبقائه في المدرسة. وتضيف في حديث إلى «أفق جديد»: «الولد الكبير استنفر في الجيش دون مشورتي، والولد الصغير مهووس بصناعة السلاح والتسرب من الدراسة. حاولتُ المستحيل لكن من دون فائدة مرجوة، فكل الأولاد في الحي يصنعون ويلعبون بالبنادق».

تنذر منظمة الطفولة العالمية «يونيسف»، أنه مع دخول الحرب في السودان عامها الثالث، تضاعف عدد الأطفال الذين يحتاجون إلى المساعدات الإنسانية؛ من 7.8 مليون طفل في بداية عام 2023 إلى أكثر من 15 مليون طفل الآن.

وقالت المديرة التنفيذية لليونيسف، كاثرين راسل، في 15 أبريل: «عامان من العنف والتهجير قد دمّرا حياة ملايين الأطفال في جميع أنحاء السودان».

وتحذر المنظمة من أنه ما لم تتّخذ إجراءات عاجلة، قد تزداد حدّة الأزمة الإنسانية المروّعة في السودان فتصبح كارثة أكبر. «إنّ عنف أطراف الصراع ضد الأطفال والجوع والأمراض كلّها في تزايد. ولا يزال التهجير يستمر في تعطيل الحياة، والوصول الإغاثي الإنساني إلى الأسر يتقلص».

في الأيام الأولى للحرب قال القائد ياسر العطا في خطاب أمام حشد من جنود الجيش: «سنجند حتى الأطفال».

تخبر سكينة عمر أن سياق الحياة برمته تغير وأحاطت الحرب بالأطفال من كل اتجاه وأصبحت المؤثرات جميعها مستمدة من بيئة العنف والقتال. «خطاب الحرب وتجييش المجتمع وما يشاهده الأطفال على وسائل التواصل الاجتماعي يضطرهم لتقليد الكبار». وتقول أستاذة علم النفس في حديث مع «أفق جديد»: «قدرة الأطفال على التكيف عالية، لذا يحاولون صناعة أدوات ألعابهم بمواد حربية، شديدة العنف، وتعجز الأسر عن السيطرة عليهم بصورة كلية، سيما أن الحرب نفسها غير محدودة ولن يقدر أحد على حجب الأطفال عن الانفعال اليومي بها أو الحد من أن يتشكل وعي الحرب لدى الأطفال بطريقة مستمرة، تشوه الواقع والمستقبل معًا».

وتتساءل عمر: « كيف نستطيع توجيه خيال الأطفال، في زمن الحرب، لينتج فعلًا إيجابيًا متصلًا بالحياة الواسعة بأ لو ا نها العديدة من جد يد ؟ » .

الهامش والمركز في الإرجاء

حاتم أيوب أبو الحسن

ملخص

يُبرز الكاتب تحوُّل مفهوم «الهامش والمركز» من إطار نظري يُعالج قضايا التهميش إلى أداة سياسية تم توظيفها من قبل النخب للوصول إلى السلطة، حيث تحالفت نخب الهامش مع المركز في صراع على النفوذ والمكاسب، متجاوزةً القضايا الجوهرية التي نادت بها أصلاً.

يتتبع التحليل كيف أصبح المصطلح مجرد شعار سياسي فارغ من مضمونه الأصلي، بعد أن تم تطويعه لخدمة أجندات ضيقة، حيث تحوَّلت قضايا الهامش من مطالب عادلة إلى ورقة مساومة في الصراع على السلطة، بينما ظلت أوضاع المهمشين الفعلية دون حلٍّ حقيقي.

يشير النص إلى أن هذا الانزياح المفاهيمي أدى إلى تعطيل أي معالجة جدية للأزمات التاريخية في السودان، حيث انشغلت النخب بصراعاتها الداخلية واقتسام الثروات، بينما تُركت قضايا العدالة والوحدة الوطنية تُدفن تحت ركام المصالح الضيقة والخطاب السياسي الزائف.

يختتم الكاتب بالتنبيه إلى أن استمرار هذه الديناميكية لن يؤدي إلا إلى مزيدٍ من التدهور، حيث تُهدر الفرص الحقيقية للعدالة والمصالحة، وتُستبدل بخطابات انتقائية تتناسى الجرائم الكبرى وتتجاهل المساءلة، مما يهدد بانهيار أي أملٍ في مستقبلٍ مستقرٍ للسودان.

في ظل تطور الصراع السياسي في السودان، أصبح مصطلح «الهامش والمركز» متجاوزًا، بعد اتحاد نخب الهامش ذاته مع المركز من أجل السيطرة على السلطة، بمعزل عن قضاياهم المصيرية.

عندما احتدم الصراع الفكري والسياسي والكفاح المسلح، برز المصطلح السياسي الفكري مجسدًا لقضايا الظلم، والاضطهاد، والتمييز العنصري الثقافي، والاقتصادي، والاجتماعي، كأنه لم يكن من قبل رؤية فكرية لقراءة الأزمة السياسية المستمرة.

التطور السياسي في السودان ظل يتراجع إلى الوراء، واتضح أن المصطلح قد تم التسويق له خارج السياق المعالج المقصود من المنظّرين له، ومنهم الدكتور حيدر إبراهيم ورفاقه، المنادين لهم بالصواب. وقد وُظّف سياسيًا حتى تم الوصول عبره إلى السلطة، عبر تسويات فشلت في معالجة الاختلالات المركزية تجاه ما يُسمى بـ«الهامش». المفهوم ليس المكان، بل أصبح الهامش مركزًا في الهوامش، إفراز نخب جدد تماشيًا مع تطور الصراع السياسي، في تجلياته بتطويع المصطلح إلى مكاسب الهامش لأخذها من المركز. وقد أنتجت تلك النخب، بمفردها، قرارات ومصير الهامش المتبقي إلى مكاسب سلطة ومال.

فإن نقّبنا سياسيًا فيه، لم نجده اليوم إلا معطلاً لمخاطبة القضايا التاريخية في الأزمة السياسية السودانية، لإفساح المجال والاهتمام بالتأسيس الجديد فوق كل الجراحات، والتجاوز لكل خرافات السمسرة السياسية والمزايدات التي تتطاول على حقائق ثابتة، لا يتقدم السودان دونها قيد أنملة، إذا تمادى نخب المركز والهامش في التلاعب بمصير السودان، عبر تحالفاتهم المتقاطعة بغرض الاستحواذ على السلطة واقتسام المكاسب والثروات.

هذا ضد تطلعات السودانيين في المركز والهامش، الذي أصبح حربًا في الجهات الأربعة، لم يترك يابسًا ولا أخضر، ومعرض لأن تتآكل وحدة البلاد. هنا استطاع المصطلح أن يجسد مشهدًا دراميًا من الكوميديا السياسية.

فإن كل الإرث السياسي السوداني والدروس والعبر عبر التاريخ، دُفنت جانبًا من أجل «معركة الكرامة»؛ التي ليست الوحدة السليمة في الوجدان، حسب مواقفهم مجتمعة، لأن تقتضي شيطنة الجنجويد، ولا يُسمح لك بسؤال: من الذي أسس الجنجويد؟ ولماذا؟ ما الفكرة، الفلسفة، والتمويل؟ والتستر على جرائم الحرب، والتخلي الأخلاقي عن العدالة، دون المطالبة بتسليم المجرمين للمحكمة الجنائية، بمن فيهم البرهان والبشير وموسى هلال.

هذا باختصار ما يسمى بالتناقض المنسجم من داخل صراع المركز والهامش، بعيدًا عن مفهوم الجدلية كأحد أدوات تحليل الفكر والسياسة لإعادة القراءة والمعالجة، لا لتطور الصراع.

نعود عاجلًا لنجلي البقع الداكنة في مشهد الصراع المتجاوز من أجل السلطة والمال.

الاقتصاد السوداني
بين دمار الحرب وخرافة الإنتاج

عمر سيد أحمد *

ملخص

يتناقض الواقع الاقتصادي بشكل صارخ مع التصريحات الرسمية المتفائلة، حيث تشير البيانات الميدانية إلى تدهور حاد في القطاع الزراعي بسبب النزوح وانعدام الأمن وندرة المدخلات الأساسية، في حين تزعم الحكومة تحقيق إنتاج قياسي رغم الدمار الشامل الذي خلفته الحرب.

يعاني الجهاز المصرفي من أزمة عميقة، مع ارتفاع نسبة الديون المتعثرة إلى 50%، وهيمنة الاقتصاد الموازي الذي يستحوذ على 95% من الكتلة النقدية، مما يحول دون تمويل أي أنشطة إنتاجية فعلية، سواء في الزراعة أو الصناعة، ويُظهر ادعاءات النمو الاقتصادي مجرد خرافة غير مدعومة بأدلة.

يُدار الاقتصاد الوطني من قبل تحالف غير شفاف بين الميليشيات وبقايا النظام السابق، حيث تُنهب الموارد وتُوجه لتمويل الحرب بدلاً من إعادة الإعمار، بينما تعاني الخدمات الأساسية من انهيار كامل، مع تدمير 70% من المرافق الصحية وانتشار الجوع بين 20 مليون شخص.

تُكشف هذه التصريحات عن محاولة متعمدة لتضليل الرأي العام، حيث تُستخدم الدعاية السياسية لتبرير استمرار الصراع، بينما الحل الوحيد يكمن في تفكيك اقتصاد الحرب وبناء نظام اقتصادي شفاف تحت مظلة دولة مدنية تعيد توزيع الموارد لصالح المواطنين بدلاً من النخب المسلحة.

«إنتاج السودان الزراعي خلال الحرب تجاوز مستويات الإنتاج في أعوام السلم» – تصريح منسوب لوزير مالية حكومة الأمر الواقع، جبريل إبراهيم نُشر عبر «العربية السودان» في 24 أبريل 2025، أثار جدلاً واسعًا. فبينما تدخل الحرب عامها الثالث، يعيش السودان أحد أسوأ فصول تاريخه من الدمار الاقتصادي والانهيار الخدمي، والواقع على الأرض يدحض هذه المزاعم.

جبريل إبراهيم ليس مجرد وزير مالية مؤقت؛ هو قائد مليشيا مسلحة، أحد رموز الإسلاميين، وحليف تاريخي لحزب المؤتمر الوطني الذي حكم السودان لثلاثة عقود بالاستبداد والفساد، قبل أن تطيح به ثورة ديسمبر. والآن، يعيد هذا الرجل إنتاج ذات المشروع القديم: دولة مختطفة، موارد منهوبة، ودعاية سياسية لا تستند إلى واقع.

الزراعة في السودان لم تكن يومًا مجرد قطاع اقتصادي، بل مصدر عيش لـ 70% من السكان. لكنها اليوم تحت حصار الحرب:

* معظم مناطق الإنتاج الزراعي تقع داخل مناطق عمليات عسكرية .
* الوقود، السماد، البذور، والتمويل غائبة.
* المزارعون نزحوا أو توقفت مشاريعهم بسبب انعدام الأمن.
* لا توجد بيانات رسمية أو تقارير ميدانية تدعم التصريحات الحكومية.

فمن يزرع؟ ومن يحصد؟ في بلد تُقصف فيه القرى وتُقطع فيه الإمدادات.

بحسب تأكيد من مدير عام أحد البنوك، بلغت نسبة الديون المتعثرة في السودان 50%، ويعاني الجهاز المصرفي من ضعف شديد ظل يلازمه وازداد بسبب الحرب وتعاظم دور الاقتصاديّ الموازي، حيث لا يزال حجم الكتلة النقدية خارج المصارف يقدر بنسبة 95 %. ولاتوجد قدرة مصرفية على تمويل الإنتاج الزراعي أو الصناعي، مما ينسف أي ادعاء بنمو اقتصادي.

اقتصاد السودان اليوم تُديره شبكة تحالف بين بقايا نظام المؤتمر الوطني ومليشيات عسكرية. لا موازنة، لا محاسبة، لا شفافية: الذهب يُهرّب عبر مطارات موازية. الإيرادات تُصرف خارج إطار الموازنة.

* الموارد تُوظف لدعم الحرب.

المؤسسات تُستغل لقمع الثوار والثورة.

* أكثر من 13 مليون طفل في حاجة ماسة إلى الدعم (اليونيسف).
* 70 % من المرافق الصحية مدمرة أو متوقفة عن العمل (منظمة الصحة العالمية، 2024).
* الكهرباء والمياه معدومة في أجزاء واسعة من البلاد.

* أكثر من 20 مليون شخص يعانون من الجوع وانعدام الأمن الغذائي (برنامج الغذاء العالمي، 2024).
* انكماش الناتج المحلي بـ 18% (البنك الدولي 2023).
* توقف 60% من النشاط الصناعي.
* الفقر تجاوز 65%.
* تراجع الصادرات الزراعية بنسبة كبيرة.

هذا التصريح ليس زلة لسان، بل محاولة لتزييف الواقع وتبرير الحرب. السودان بحاجة إلى تفكيك اقتصاد الحرب وبناء اقتصاد السلام في ظل دولة مدنية شفافة تخدم مواطنيها، لا أن تضللهم.

المراجع:

* تصريح جبريل إبراهيم، منصة العربية السودان24 أبريل 2025.
* البنك الدولي: Sudan Economic Monitor، 2023.
* منظمة الصحة العالمية، تقرير السودان 2024.
* اليونيسف: Sudan Education Emergency Report، 2024.
* برنامج الغذاء العالمي: WFP Sudan Emergency Update، 2024.

استيلاء الفلول على نقابة المحامين السودانيين
محاولة لعودة الإسلاميين للسلطة عبر البوابات المهنية

سمير شيخ إدريس

ملخص

استيلاء الفلول على نقابة المحامين السودانيين سمير شيخ ادريس: يحاول الإسلاميون كما يرى الكاتب استغلال فوضى الحرب لإعادة ترتيب أوراقهم، حيث يسعون للسيطرة على النقابات المهنية كبوابة لعودة نفوذهم السياسي، بدءًا بنقابة المحامين التي استولوا عليها قسراً رغم عدم شرعيتها، متحدين بذلك القرارات القضائية التي أقرت بحل كياناتهم منذ الثورة.

تمارس النقابة المحلولة أنشطتها دون سند قانوني، حيث عينت قيادات من الموالين للمؤتمر الوطني البائد، مستغلةً غياب الرقابة وضعف الدولة لفرض وجودها، بينما تتجاهل تماماً معاناة المحامين وانتهاكات الحرب، لتعود كأداة دعاية للنظام السابق.

يكشف هذا الاستيلاء عن خطة ممنهجة لاختراق المنظومة النقابية بأكملها، حيث يسعى الإسلاميون لاستعادة السيطرة على كافة الكيانات المهنية تمهيداً لعودتهم السياسية، مدعومين بتواطؤ بعض الأجهزة الرسمية وحتى إقليمية التي منحتهم شرعية غير مستحقة.

يتطلب التصدي لهذه المحاولات تضافر جهود القوى الثورية والنقابية الحقيقية لاستعادة الهيئات المهنية، وحماية مكتسبات الثورة من عبث الفلول، خاصةً أن نجاحهم في هذه الخطوة سيفتح الباب أمام موجة عارمة من استعادة النفوذ القديم بكل تداعياته الكارثية على مستقبل البلاد.

(1)

لم يخف الإسلاميون منذ اشتعال فتيل الحرب رغبتهم وسعيهم المحموم في العودة للسلطة، حيث يعدون الحرب الدائرة هي طوق النجاة الذي سيعبر بهم نحو مرافئ الحكم، فبدأ الظهور العلني لقيادات التنظيم السياسية عبر الواجهات الإعلامية والمنابر الجماهيرية في بعض المناطق بما أتاحته لهم السلطة من مساحات، وما قاموا بممارسته خلال ذلك من إذكاء نيران الحرب وتصويرها للجماهير كعادتهم بالقدسية والكرامة، وتصوير أنفسهم بالمنقذ للأرض والعرض بالشكل الذي مهد الطريق لإعادة تنظيم صفوفهم سياسيًا وتنظيميًا، ثم عمدوا عبر خروج كتائبهم العسكرية المسلحة المشاركة في الحرب عبر تحالفها مع فلول المؤسسة العسكرية، وما تمخض عن ذلك من سيطرتهم الواسعة على أرض المعركة وما استتبع ذلك خلال ما فاض عبر الأثير والأسافير من إظهار السيطرة العسكرية للتنظيم، وتصريح قادتهم بالخطب السياسية والوعيد لكل من سيخالف مسار الواقع الذي يخطون مساره ليفضي بعودتهم للسلطة من خلال سيطرتهم المدعاة، وإلى جانب ذلك الظهور المحموم من الناحية السياسية والعسكرية بدأت تخرج من شقوق الأرض بقية أذرعهم التي شيعتها الثورة نحو مزابل النسيان عبر النشاط الشعبي والتنظيمي في المدن، وعبر الكيانات المهنية وفرض السيطرة عليها بإعادة منسوبيهم في الكيانات النقابية على ركام الأجسام النقابية التي تكونت بعد الثورة ومارست أنشطتها لسنوات متعددة، ولعل أبرز هذه الكيانات هو ظهور منسوبي نقابة المحامين المحلولة في الأشهر الفائتة وممارسة عضويتها علانية لكافة أنشطة النقابة دون سند شرعي أو قانوني، في تحد سافر للقرارات القضائية التي صدرت لمصلحة لجنة التسيير في مارس 2023 إبان النزاع بينهما، التي أفضت لإبطال كافة المحاولات التي قاموا بها من أجل استعادة النقابة.

(2)

تم تكليف لجنة تسيير نقابة المحامين السودانيين في مطلع 2020 بموجب قرار لجنة إزالة التمكين، الذي أسند لها مهمة تصريف أعمال النقابة وتمثيلها لدي لجنة قبول المحامين والجهات الأخرى، ومراجعة قانون المحاماة والنظام الأساسي ومن ثم الدعوة للجمعية العمومية، وعقد الانتخابات التي تتطلب أعمالًا أخرى ألقيت على عاتقها، أهمها تنقيح السجل الذي شابه التخريب من قبل النقابة المحلولة عبر دوراتها المختلفة في تسيير النقابة. وقد باشرت لجنة التسيير أعمالها لفترة من الزمن بموجب شرعية قانونية لم ينازعها أحد حتى انقلاب البرهان في أكتوبر 2021، الذي أصدر بعد انقلابه أمرًا بحل لجنة إزالة التمكين وحل كافة النقابات والاتحادات ولجان التسيير النقابية، غير أن القرار لم يكن له أي أثر على الواقع العملي، حيث ظلت لجنة تسيير نقابة المحامين تمارس أعمالها رغم أنف هذا القرار الذي أثار حفيظة النقابة المحلولة وشجعها في ذلك الانقلاب الذي حد من موجة المد الثوري، وأتاح مساحات واسعة لاستعادة الفلول لنشاطهم ومحاولة تمددهم من جديد على الساحة، لذلك تقدمت النقابة المحلولة ومثيلها من الكيانات المهنية أواخر 2022 بطعون لدى لجنة استئناف قرارات لجنة التمكين ضد قرار تشكيل لجنة تسيير نقابة المحامين التي قبلت الطعن، وألغت قرار تشكيل لجنة التسيير التي تقدمت بطعن ضد هذا القرار لدى المحكمة العليا، وأثناء نظر الطعن قيدت نقابة المؤتمر الوطني المحلولة تنفيذًا قضائيًا لتطبيق قرار حل لجنة التسيير الذي تم رفضه أولًا ثم قبوله ثانيًا من سلطة التنفيذ القضائية العليا التي أمرت بتسليم النقابة لمنسوبي المؤتمر الوطني، ومرة أخرى لاحقت لجنة التسيير هذا الأمر بالطعن فيه إلى أن صدر فيه الأمر بقفل التنفيذ وإلغاء أي قرار يفضي لتسليم نقابة المحامين للفلول في مارس 2023 .

(3)

الجدير بالملاحظة أنه أثناء سير هذه الإجراءات صدر مرسوم من مجلس السيادة في فبراير 2023 بتجميد نشاط جميع النقابات والاتحادات المهنية، وأمر مسجل عام تنظيمات العمل بتكوين لجان تسييرية للنقابات، ويعد هذا القرار القضائي بوقف التنفيذ هو آخر القرارات الصادرة في النزاع الذي دار بين لجنة التسيير والفلول، وهو الأمر الذي يمنح الشرعية للجنة التسيير بمتابعة نشاطها دون إجراء مناهض أو أي تحركات من منسوبي النقابلة المحلولة حتى قيام الحرب وما بعدها بقليل، إلى أن قررت نقابة الفلول الخروج من العدم وممارسة سلطاتها المنزوعة وموقوفة بموجب القانون عنوة، متخذة من ستار الحرب وما تجده من غطاء من السلطة وتمدد كياناتهم العسكرية بما أوجدته من مساحات على أرض المشهد شجع الإسلاميين ليبعثوا رفاة تنظيمهم من قبره للعودة بهم للسلطة بقوة الأمر الواقع وتحت سطوة البنادق في تحد سافر للقوانين والإرادة الجماهيرية، دون سند شرعي سوى التغول وممارسة البلطجة النقابية قامت بالاستيلاء على مهام لجنة التسيير باستعادة المحلول عثمان الشريف وتسميته نقيبًا، وبتعيين أحد رموزها السابقين المدعو زين العابدين في منصب النقيب المكلف، وقاما بعقد الاجتماعات والدعوة لتسجيل المحامين الجدد وعقد احتفال تدشين ومنح التراخيص وتعيين وكلاء لنقيب المحامين في الولايات المختلفة، ومخاطبة وكلاء لجنة التسيير بتسليمهم ما بأيدهم من عهدة لمن قامت بتعيينهم.

(4)

عادت نقابة الفلول عبر ما قامت به من أنشطة بسيطة بوجهها ذاته الكالح وأدوارها السابقة دون أي حديث عن معاناة المحامين في الحرب والانتهاكات الحادثة للجماهير جراء النزاع المسلح، لتكون كعادتها واجهة وبوق للسلطة يكرس لتثبيت النظام السياسي الذي ينتمي له منسوبيها، والتسويق لعودته للسلطة مثلما دأبت دائمًا على ممارسة هذا الدور عبر تاريخها قبل قيام الثورة التي أطاحت بآخر دورات سيطرتهم التي شملتها الشرعية الثورية والقانونية بالحل ضمن نقابات المؤتمر الوطني الأخرى، وبذا أصبح في حكم المعلوم أن كافة الأنشطة التي تقوم بها النقابة ليس لها سند قانوني على الوجه الذي ذكر وإنما هو استيلاء واضح على أحد مكتسبات الجماهير النقابية بالقوة والهيمنة، واستغلال تعقيدات الواقع المأزوم الذي تمر به البلاد ومنسوبي الكيانات النقابية والمهنية، وهي بذلك تتحدى إرادة الجماهير والمبادئ الثورية والقانونية المنادي بها من ثورة ديسمبر في دحر كل ما يتعلق بالحزب الحاكم المحلول وأذرع مؤسساته، والمؤسف في الأمر أن هذا الكيان اللقيط وجد تعاونًا من بعض الأجهزة الرسمية والعدلية على المستوى المحلي وحتى الإقليمي، حيث حضر فعالية تدشين المحامين الجدد في القاهرة الشهر الماضي نقيب المحامين المصريين واتحاد المحامين العرب وكبار القضاة والشخصيات العامة، وأثنوا جميعًا على الخطوة التي تستبطن اعترافًا ضمنيًا من قبلهم بهذا الكيان، ومنحه شرعية لتقوية جذره في الوجود وتشجيعه على مواصلة انتهاكه القانوني دون أدنى تساؤل عن مدى شرعية هذا الجسم الهلامي، فإذا أخذنا في الاعتبار كونه آخر جسم نقابي سوداني تعامل مع هذه الجهات فإن الواقع كان يجب أن يشير لنفي هذا الاحتمال باعتبار أن دورة الانتخابات الاخيرة امتدت من 2017 حتى 2021 وأصبحت في حكم المنتهي،

(5)

هذه الخطوة لا تمس لجنة تسيير نقابة المحامين وحدها بل هي خطوة استباقية للاستيلاء على الكيانات النقابية ومحاولة بعث الواقع النقابي المسيطر عليه من الفلول قبل الثورة، وهي محاولة تدريجية للعودة وإن نجحت سوف يعقبها تحركات أخرى من الفلول في النقابات والاتحادات المهنية الأخرى، في خطوة تدخل ضمان نطاق مشروع حلم الإسلاميين للعودة للسلطة عبر العمل من خلال كافة الجبهات سواء عسكرية أو سياسية أو مهنية، لينتهي جميعه بالوصول بهم نحو استعادة الحكم، وهو الأمر الذي يستوجب مقاومته من قبل منسوبي الكيانات النقابية التي كافحت بعد الثورة من أجل تأسيس أجسامها النقابية والمهنية، وتعدى الكثير منها المراحل الأولية وأسس واجهاته المهنية وفقًا للقانون وتعبيرًا عن إرادة عضويته، وليس جديرًا بعد ذلك ترك هذا الجهد الجبار لتستولي عليه أذرع الفلول دون سند شرعي، تحت ذراع القوة والواقع المأزوم الذي خلفه نزاعهم المسلح، الذي ينبئ بالمستقبل الذي ينتظر البلاد إذا ما دانت لهم مفاتيح السلطة .

هل يستطيع نتنياهو دفن «قطر جيت» تحت أنقاض غزة؟

إنها ضغوط أجنبية تهز القدس وقد تدفع واشنطن إلى مزيد من الصراع الإقليمي

ملخص

يكشف التقرير عن فضيحة «قطر جيت» التي تورط فيها مقربون من نتنياهو بتهم تلقي أموال قطريّة لترويج أجندة الدوحة إعلاميًا وتقويض الدور المصري في الوساطة، مما يهدد بزعزعة استقرار حكومته ويطرح تساؤلات حول مدى علمه بالعملية.

يحاول نتنياهو التستر على الفضيحة عبر تصعيد الحرب في غزة، مستخدماً الذراع العسكري لإلهاء الرأي العام عن قضايا الفساد المتلاحقة، بما في ذلك محاولته إقالة رئيس جهاز المخابرات المسؤول عن التحقيق، مما يعمق الانقسامات الداخلية ويُضعف ثقة الإسرائيليين بحكومتهم.

تتجاوز تداعيات الفضيحة الحدود الإسرائيلية، حيث تُهدد الجهود الهشّة لوقف إطلاق النار، وتُضعف شرعية الوساطة القطرية رغم إنكار الدوحة، بينما تواصل تل أبيب التعامل بحذر مع قطر خشية فقدان شريك استراتيجي في المفاوضات مع حماس.

يرسم المشهدُ صورةً قاتمة لمستقبل المنطقة، حيث يُسقِط نتنياهو فشله السياسي والأمني على غزة عبر تصعيد عسكري غير محسوب، بينما تظل الأسئلة حول نوايا قطر وحقيقة التواطؤ الإسرائيلي معلقة، مما يزيد من تعقيد الأزمة ويُبعد أي أفق للحل السلمي.

نيك كليفلاند - ستاوت آشلي جيت
24 أبريل 2025

فضيحة جديدة تُورّط إسرائيل، تُهدّد بإسقاط رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو. تُثير هذه الفضيحة تساؤلات حول مستوى النفوذ الأجنبي الذي ربما وصل إلى مكتب رئيس الوزراء، ونتنياهو يسعى بالفعل إلى تصعيد الحرب في غزة كوسيلة لإلهاء نفسه .

ما هي قطر جيت؟

يزعم تحقيق أجرته الشرطة الإسرائيلية أن عددًا من مساعدي نتنياهو - إيلي فيلدشتاين ويوناتان أوريش - تلقوا تمويلًا من قطر للتواصل مع صحفيين ونشر رسائل مؤيدة لقطر. اعتقلت الشرطة المساعدين للاشتباه في اتصالهم بعميل أجنبي، والاحتيال، وغسل الأموال، والرشوة، ويُقال إنها تستعد لتوجيه اتهامات إليهم بجرائم مالية.

يُزعم أن قطر أرسلت مدفوعات عبر جاي فوتليك، المساعد الخاص السابق للرئيس كلينتون. سجّل فوتليك نفسه كعميل أجنبي لدى سفارة قطر عام 2019، مُكلّفًا بترتيب لقاء وفود من مسؤولين حكوميين ومحليين أمريكيين مع ممثلين قطريين في الدوحة. وقد أكسب هذا العقد المربح شركته «ثيرد سيركل» راتبًا شهريًا ثابتًا قدره 40 ألف دولار أمريكي. بعد هجمات حماس في 7 أكتوبر 2023، ساعد فوتليك عائلات الرهائن الإسرائيليين في تأمين لقاءات مع مسؤولين قطريين للتوسط في إطلاق سراحهم.

يزعم التحقيق أن فوتليك أرسل مدفوعات عبر وسيط إسرائيلي إلى فيلدشتاين، المتحدث العسكري باسم مكتب رئيس الوزراء آنذاك. وليس من الواضح ما إذا كان فيلدشتاين قد وزّع الأموال بعد ذلك على مساعدين آخرين.

المساعد الثاني، يوناتان أوريتش، هو من أعلى دوائر نتنياهو المقربة. شغل منصب المتحدث الرسمي باسم حزب الليكود الذي يتزعمه نتنياهو لمدة خمس سنوات. ثم، في عام 2020، شارك في تأسيس شركة «بيرسبشن» ، وهي شركة استشارات إعلامية، أفادت التقارير أنها عملت مع قادة دوليين بارزين (منهم الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي). حتى أن نتنياهو وصف أوريتش في مذكراته بأنه «نوع من العائلة».

يُشتبه في أن مساعدي نتنياهو حاولوا تقويض دور مصر كوسيط في غزة من داخل مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي نيابةً عن قطر. تُعدّ قطر ومصر أكثر الدولتين نشاطًا في الوساطة في النزاع (اقترحت الدولتان اتفاقًا جديدًا لوقف إطلاق النار يوم الاثنين)، مع أن قطر نالت نصيب الأسد من الثناء. يشير تحليلٌ أجرته مؤسسة «ريسبونسبل ستيت كرافت» للتقارير الإعلامية إلى أنه منذ 7 أكتوبر/تشرين الأول، ذكرت كبرى وسائل الإعلام الإسرائيلية الناطقة باللغة الإنجليزية (جيروزالم بوست، وهآرتس، وتايمز أوف إسرائيل) دور قطر كوسيطٍ بمعدلٍ يفوق ثلاثة أضعاف دور مصر. وقد نفت قطر هذه المزاعم، مُصرةً على أن مصر تلعب «دورًا محوريًا» في المفاوضات.

من بين الادعاءات الأكثر تفصيلاً، ورد أن فيلدشتاين رتّب أيضاً مقابلات لرئيس تحرير صحيفة جيروزالم بوست، زفيكا كلاين، في عدة برامج إسرائيلية لتقديم تغطية إيجابية لزيارته الأخيرة إلى الدوحة. واستُدعي عدد من الصحفيين للإدلاء بشهاداتهم في التحقيق، وقال صحفي واحد على الأقل إنه نشر تقريراً عن قطر اقترحه فيلدشتاين.

في أعقاب الفضيحة، يتبادل الجميع الاتهامات. يزعم فيلدشتاين أنه لم يكن يعلم أن الأموال مصدرها قطر. وبالمثل، يزعم الوسيط الذي مرر الأموال أنه لم يكن يعلم أن فيلدشتاين كان يعمل لصالح إسرائيل آنذاك.

صداع لبيبي، حياة أو موت لسكان غزة

أثارت القضية برمتها العديد من الأسئلة التي لم تُجب عليها. السؤال الرئيسي الذي يشغل بال الإسرائيليين هو: «ما إذا كان نتنياهو يعلم؟». أظهر استطلاع رأي أجراه معهد الديمقراطية الإسرائيلي أن أكثر من نصف الإسرائيليين يعتقدون أن نتنياهو كان على علم بالصلات المزعومة بين قطر ومستشاريه.

من جانبه، وصف نتنياهو التحقيق بأنه «حملة سياسية شرسة». وصرح متحدث باسم مكتبه بأن فيلدشتاين كان يُقدم إحاطة صحفية «بمبادرة شخصية منه وليس بصفته الرسمية» لأنه لم يجتاز فحصًا أمنيًا ولم يعد يتقاضى راتبًا حكوميًا.

على الرغم من عدم توجيه اتهامات رسمية لنتنياهو في قضية قطر جيت، إلا أنه سعى جاهدًا للاستباق. ففي مارس/آذار، حاول نتنياهو إقالة رئيس جهاز المخابرات الإسرائيلي (الشاباك)، والمسؤول عن تحقيق قطر جيت، رونين بار. وقد جمّدت محكمة العدل العليا إقالة بار مؤقتًا، لكن من المتوقع أن يستقيل في مايو/أيار. وفي إفادة خطية قدّمها بار، زعم أن نتنياهو أقاله لأسباب سياسية، منها قطر جيت وتحقيق الشاباك في مجزرة 7 أكتوبر/تشرين الأول. وردًا على الإفادة الخطية، نشر زعيم المعارضة يائير لابيد بيانًا مصورًا على وسائل التواصل الاجتماعي يتهم فيه «نتنياهو بمحاولة استخدام الشاباك لمراقبة المواطنين الإسرائيليين، وتفكيك الديمقراطية، ودفن تحقيق قطر جيت».

قد يكون قرار نتنياهو بمحاولة إخماد تحقيق قطر من جذوره سلاحًا ذا حدين؛ فبتسييسه لجهاز الأمن العام (الشاباك)، يُخاطر نتنياهو بإثارة غضب حلفائه السابقين ضد حربه غير المحددة في غزة. يقود الآن قدامى المحاربين من جهاز الأمن العام (الشاباك) والموساد وجيش الدفاع الإسرائيلي حركة احتجاجية تدعو إلى إنهاء الحرب.

وبغض النظر عن الصراع الداخلي على السلطة الذي يدور في إسرائيل، فإن تداعيات فضيحة قطر من المرجح أن تدفع نتنياهو إلى مضاعفة جهوده لتوسيع نطاق الحرب في غزة.

أولاً، تُهدد هذه الفضيحة عملية الوساطة الهشة. فرغم عدم وجود علاقات رسمية بين قطر وإسرائيل، إلا أن دعم قطر لحق الفلسطينيين في تقرير المصير وعلاقاتها الوثيقة بحماس جعلاها شريكاً أساسياً في مفاوضات وقف إطلاق النار. وقد نفت الحكومة القطرية بشدة مزاعم الرشوة، مؤكدةً أنها «لا تخدم سوى أجندات أولئك الذين يسعون إلى تخريب جهود الوساطة وتقويض العلاقات بين الدول». من ناحية أخرى، إذا ثبتت صحة هذه المزاعم، وتبين أن قطر قد اشترت ولاء عدد من مساعدي رئيس الوزراء لتعزيز دورها كوسيط، فقد تُضعف الفضيحة علاقات الدولة الخليجية مع إسرائيل - أو على الأقل مع الرأي العام الإسرائيلي. ومع ذلك، لا تزال إسرائيل مترددة في انتقاد قطر خوفاً من فقدان شريك استراتيجي في المفاوضات. وكما أوضح جون هوفمان، الباحث في معهد كاتو، في مقابلة مع RS، فإن «الحفاظ على الحوار مع جميع الأطراف - سواءً رضيتم أم أبيتم - هو الأفضل، لأنه يزيد من قدرتكم على المناورة».

لكن فضيحة قطر جيت تُفاقم أيضًا مشاكل نتنياهو السياسية الداخلية، مُثيرةً مخاوف من إمكانية توسيعه نطاق الحرب في غزة أو حتى ضرب المواقع النووية الإيرانية لصرف انتباه الرأي العام. ووفقًا لهوفمان، فإن نتنياهو لديه سجل حافل في «مواصلة الحرب لتأخير أو حتى تجنب محاكماته بتهم الفساد، من بين حوافز أخرى». يواجه نتنياهو ثلاث لوائح اتهام منفصلة، إحداها تزعم أنه وعد بتشريعات تُفيد شركة اتصالات إسرائيلية مقابل تغطية إيجابية على موقعها الإخباري.

يجادل هوفمان بأن نتنياهو، بتمديد أمد الحرب، يسعى إلى تجنب قضايا الفساد المستمرة والتحقيق في الإخفاقات الاستخباراتية التي ساهمت في تدمير هجوم حماس في 7 أكتوبر/تشرين الأول. وبالفعل، انتهك نتنياهو وقف إطلاق النار الهش في 18 مارس/آذار بغارات جوية أودت بحياة مئات الغزيين في نفس اليوم الذي كان من المقرر أن يدلي فيه بشهادته في قضية الفساد تلك، ومع ظهور المزيد من تفاصيل فضيحة قطر جيت.

عوفر كاسيف، عضو الكنيست والناقد الصريح لحرب إسرائيل على غزة، تساءل بصوت عالٍ : «توقيت المجزرة المتجددة في غزة ليس مصادفةً. هل تضيق قطر قبضته عليه؟»

سوف يتعين علينا أن ننتظر ونرى .

نيك كليفلاند-ستاوت باحث مشارك في برنامج «دمقرطة السياسة الخارجية» بمعهد كوينسي. سبق له أن أجرى أبحاثًا حول العلاقات الأمريكية البرازيلية بصفته زميل فولبرايت لعام 2023 في الجامعة الفيدرالية في سانتا كاتارينا .

آشلي جيت باحثة مشاركة في برنامج «دمقرطة السياسة الخارجية» بمعهد كوينسي للحكم الرشيد. تركز أبحاثها على العلاقة بين القانون الدولي والسياسة الخارجية الأمريكية. آشلي حاصلة على ماجستير في القانون من كلية

رسائل الإخوانيات: أدب المودة والصداقة في التراث العربي

عثمان يوسف خليل*

ملخص

برزت رسائل الإخوانيات كفن نثري راقٍ يجسد عمق العلاقات الإنسانية في التراث العربي، حيث تطورت من مجرد مراسلات شخصية إلى نصوص أدبية بليغة تحمل بصمة كتّابها. ازدهر هذا الفن في العصر العباسي على يد رواد مثل الجاحظ وأبي حيان التوحيدي، الذين حولوا الرسائل إلى لوحات فنية تزخر بالبلاغة والسجع، معبرة عن مشاعر الود والإخاء الفكري بين الأدباء والعلماء.

البناء الفني والسمات الأسلوبية:

تمتاز رسائل الإخوانيات بتوازن دقيق بين الطابع الشخصي والعمق الأدبي، حيث تجمع بين الصدق العاطفي والإتقان اللغوي. اعتمد الكتّاب على السجع والمحسنات البديعية لإضفاء جمالية على النص، بينما ناقشوا عبر هذه الرسائل قضايا فكرية وفلسفية، مما جعلها وثائق ثقافية تسجل روح العصر وهموم النخبة المثقفة.

الإخوانيات في الموروث السوداني:

احتضن السودان هذا التقليد الأدبي عبر مراسلات علمائه وأدبائه، مثل رسائل محمد المهدي المجذوب التي تمزج بين الجد والفكاهة، معبرة عن الخصوصية الثقافية السودانية. تكشف هذه المراسلات عن شبكة العلاقات الفكرية والاجتماعية التي ربطت النخب السودانية، محافظة على الأسلوب العربي الأصيل مع بصمة محلية مميزة.

إمكانية إحياء الفن في العصر الحديث:

رغم طغيان الوسائل الرقمية السريعة على التواصل المعاصر، تبقى رسائل الإخوانيات نموذجًا ملهمًا للتواصل العميق والهادف. يمكن استعادة روح هذا الفن عبر المراسلات الأدبية المعاصرة التي تجمع بين الأصالة والحداثة، مع الحفاظ على القيم الجمالية والإنسانية التي ميزت هذا التراث الثري، مما يفتح آفاقًا جديدة للحوار الثقافي بين الأجيال.

مقدمة

هذه خاطرة راقت لي أن أتأملها علني أمسك خيطها الأول. وما دفعني لذلك هو سؤال كيف كان الأصدقاء والأدباء يتواصلون قبل ظهور الهواتف ووسائل الاتصال الحديثة؟ وكيف عبّروا عن مشاعرهم، وناقشوا أفكارهم، ووطّدوا علاقاتهم؟ الإجابة تكمن في «رسائل الإخوانيات»، ذلك النوع الأدبي الذي لم يكن مجرد وسيلة للتواصل، بل وثيقة أدبية تحفظ لنا روح العصور التي كُتبت فيها.

رسائل الإخوانيات هي أحد ألوان النثر العربي الذي ازدهر عبر القرون، حيث كتبها الأدباء والعلماء والأصدقاء ليعبروا عن مشاعر الود والتقدير، ويشاركوا أفكارهم وتجاربهم. كانت هذه الرسائل تحمل طابعًا شخصيًا، لكنها في الوقت ذاته زاخرة بالجمال الأدبي، ما يجعلها كنزًا تراثيًا يعكس الحياة الاجتماعية والثقافية للعصور المختلفة.

لمحة تاريخية.. ازدهار الرسائل الإخوانية:

ظهرت رسائل الإخوانيات منذ العصور الإسلامية المبكرة، لكنها بلغت ذروتها في العصر العباسي، حيث كانت الكتابة الأدبية والمراسلات جزءًا لا يتجزأ من الحياة الثقافية. فقد برع الأدباء والفقهاء في صياغة الرسائل بأسلوب يجمع بين البلاغة والتودد والمجاملة الرقيقة، وأحيانًا الفكاهة والنقد اللاذع.

ومن أشهر من كتب في هذا الفن:

أبو حيان التوحيدي (ت. 1023م) – اشتهر بأسلوبه العميق الذي يعكس العلاقات الفكرية والإنسانية في عصره.

بديع الزمان الهمذاني (ت. 1008م) – كتب رسائل إخوانية بأسلوبه المميز، كما برع في المقامات.

أبو بكر الخوارزمي (ت. 993م) – تميزت رسائله بالبلاغة والذكاء الأدبي.

الصاحب بن عباد (ت. 995م) – كتب العديد من الرسائل التي تكشف عن روح عصره وأدبه.

الجاحظ (ت. 868م) – لم تخلُ رسائله من السخرية الذكية والفكاهة الراقية.

الصابي (ت. 994م) – كان من كبار كتاب الرسائل الإخوانية والمراسلات الرسمية

خصائص رسائل الإخوانيات:

اللغة الأدبية الراقية: كتبت بأسلوب بليغ يعكس فصاحة الكاتب وثقافته.

التعبير عن المشاعر الصادقة: حملت مشاعر الود، الحنين، الشكر، أو حتى العتاب برقة.

التطرق إلى موضوعات فكرية وأدبية: ناقشت أحيانًا قضايا فلسفية وعلمية، ما يجعلها مصدرًا معرفيًا مهمًا.

الجمع بين الطابع الشخصي والأسلوب الرسمي: رغم كونها شخصية، إلا أن العديد منها صيغ بلمسة أدبية راقية.

استخدام السجع والمحسنات البديعية: زينت الرسائل بأسلوب فني جعلها أقرب إلى القطع الأدبية.

رسائل الإخوانيات في السودان:

لم يكن السودان بمعزل عن هذا التقليد الأدبي، فقد اشتهر عدد من علمائه وأدبائه بتبادل الرسائل التي تعكس روح المجتمع السوداني وأخلاقياته. فمن رسائل الفقهاء التي ناقشت قضايا الدين والعلم، إلى رسائل الأدباء التي تفيض بالمشاعر الراقية، نجد أن فن الإخوانيات قد ترك أثره في التراث السوداني. وقد استمتعت برسائل محمد المهدي المجذوب مع صديقه الدبلوماسي وشيخ العرب علي أبو سن بما فيها من طرائف وملح.

في الأجزاء القادمة من هذه السلسلة، سنستعرض نماذج بارزة من رسائل الإخوانيات في السودان، ونتأمل كيف عكست هذه المراسلات طبيعة العلاقات الاجتماعية والفكرية في البلاد.

ختامًا

على الرغم من تغير وسائل الاتصال، فإن روح الإخوانيات لا تزال موجودة في بعض المراسلات الأدبية الحديثة. فهل يمكننا استلهام هذا الفن اليوم لإحياء أسلوب الكتابة الراقية.. هذا ما عنى لنا أن نكتبه عن الرسائل الإخوانية، ولنعتبره مجرد مقدمة، وقد نواصل البحث فيه إن كان هناك ما ينفع.

***المملكة المتحدة**

حكاية من بيئتي

جـاتك.. يـا الـرُّز

محمد أحمد الفيلابي

يقال إن فلاناً من الشخصيات البارزة في مجال كذا أو كذا. غير أن صديقنا الغارق في سخريته حين يذكر أنه كان من بين الشخصيات البارزة، فهو يعني أولئك الذين يصارعون للوصول إلى وجهاتهم على متن الحافلات، أو بصات المواصلات الداخلية، ويكون نصيب الواحد منهم نصف قدم بالباب، ومساحة كف للإمساك، فيكون الجسد بارزاً بكامله.

يفوق بروز هؤلاء في حياتنا ما يُحظى به البعض في المجتمعات الصغيرة في القرى والأحياء السكنية، حتى أن البعض تُخلد ذكراهم بما لم يكونوا يقصدونه، فتجد مقولاتهم وحكاياتهم والحكم والمبادئ والمُثُل، وربما الفكاهة المتولدة عنها، بمثابة ملح الحياة الذي لابد منه. يبرزون أطيافاً في جلسات الأنس والمرح، وحين تزيد على الناس قساوة الحياة تجدهم الملهم، والمَخْرج من التحديات.

ولحكمة يعلمها الله تجد في كل منطقة وإن صغُرت جغرافياً، وقلّ سكانها شخصيات تبرز في كل مجال، ما يمثل (وزنة) الكون، وتعدّد وتنوع الأدوار. ما يجعل الحياة ممكنة، و»كلٌ ميسرٌ لما خُلق له».

هو (سعيد ود عبد الله) يرحمه الله، ولا أحد يردد هذا الاسم الجاد إلا في الأوراق الرسمية، لأنه (الرُّز) وكفى. ويقال أن (رباعته) هم من أطلقوا عليه اللقب لمحبته الكبيرة للأرز المصنوع باللبن الحليب – طبعاً، وقد كان يشكّل ثنائية مشتهاة مع (الزلابية) في أول إفطار صباحي بعد شهر من الصيام، كما كان من أطباق السحور عند الغالبية من أهل تلك المناطق بشمال السودان. تلك العادات التي بدأت تتلاشى مثلما يعمل البعض على أن يتلاشى السودان نفسه بكل ما فيه من خير وجمال.

أشتهُر (الرُّز) بجانب البسطة في الجسم بالمرح والسخرية، يمارس مهنته الأثيرة في بناء بيوت الجالوص بمهارة يحسده عليها البعض. وحين يعلق أحدهم على المهارة والاتقان والسرعة، يردّد درءاً للحسد مقولته «شن الفائدة ما دام الواحد ماشي على قفاه؟». والشاهد أن البنّاء يتلّقى (درادم الطين) من المُناول بمهارة ودِربة، فيشكلها أمامه ضمن السُرّيقة أو الطوف، وهو يزحف للخلف. وكان (الرُّز) حين يرتفع البناء يتهكّم من المُناول بأنه غير قادرة على قذف الطين إلى أعلى إلا حين تكون (الدرادم) صغيرة وخفيفة، وهو ومن معه يكون في سباق مع الشمس، التي إن صعدت لكبد السماء يكون العمل شاقاً على الجميع، لذا تجدهم يبكرون في العمل، بعد أن تكون العجنة قد أعدّت جيداً من الأمس.

في مرة من المرّات جيء بمن ينازل (الرُّز) في القوة، وظل يستجيب لطلبات زيادة المناولة حتى بلغ به الحد أن حمل كل ما كان أمامه، ويقال إنه كان حمولة عربة الطين التي قد تزيد عن العشرين كيلو، وقذفها له صائحاً:

. جاتك آاا الرُّز.

وما أن وصلته وتناولها، حتى أفقدته توازنه ليسقط بالحمولة من فرط ثقلها. وأصبحت المقولة من المقولات السائرة، تذكر حين يكون على أحدهم أن يتلقّى ثقل خطب ما، وعليه أن يتلقاه في جلد وقوة شكيمة وصبر، دون أن يسقط. أو تقال حين التنبيه لصدمة ما.

رحمهم الله جميعهم، فقد خلّدوا لنا حكايات ومآثر وحكم، ومبادئ تشي بقدراتهم الفذّة على مكابدة الحياة دون مصارعة لبيئتهم، ودون أن يأخذوا منها إلا بالقدر اليسير الذي يبقيهم على قيد الحياة، وقد أبقوا لنا ما أعملنا فيه أدوات التفريط والإهمال حتى بتنا لا نقوى على تلقّي المناولات، لنسقط هذا السقوط المدوّي.

شيّد أسلافنا بيوتهم الصديقة للبيئة، ومن بيئتهم أكلوا غذاء آمناً كفل لهم عافية في الأجسام والنفوس والقلوب. ما خَبروا الدروب إلى المشافي كما نحن الآن. وما فتحوا أفواههم إلا ليضحكوا، أو

يقولوا ما هو خير، أو يتناولوا طيب الطعام. وما شكّت أجسادهم إلا الأشواك، وما عرفوا حين الحاجة إلى التطبيب سوى ما جادت به بيئتهم من الأعشاب وخبرات الطب الشعبي. كانوا متساوون في الفقر، لكنهم ينامون الليل ملء أجفانهم. وكان اقتصادهم اقتصاد معيشة. ولهم في الاستخدام الأمثل للموارد حكايات ودروس وعبر.

وجدناهم يبنون بيوتهم من الطين، تلك المادة التي كانت توفر الدفء والأمان لأهلها، البيوت الطين التي لم تكن مجرد مأوى، بل كانت رمزاً للعلاقات الإنسانية الوثيقة والقيم المجتمعية الراسخة، والقلوب الزاخرة بالمحبة والتصافي والتعاون والأخاء، والثقة والاحترام المتبادل. وكان البناء بالجالوص فناً راقياً يتطلب مهارة هندسية راقية، ولياقة بدنية عالية، ويداً ثابتة، وعيناً خبيرة، حتى تستقيم الجدران رأسياً وأفقياً، إن كانت غرفاً أو أسوار.

يعود بناء بيوت الجالوص إلى ماقبل الميلاد – حسب الخبراء في المجال. وفي السودان مازالت بعض القرى والمدن محافظة على البناء بالطين الأكثر تناسباً مع البيئة المحيطة. فقد عمل البعض على خلط الطين بالقليل من الرمل، وأحياناً الحصى. ويضيف البعض القش والتبن وروث البهائم لما له من قدرة على زيادة التماسك، والحصول على بناء مقاوم للتشقق والعوامل الجوية. ويحمى البعض بيته من المطر بإضافة طبقة خارجية من روث البهائم تُجدّد كل عامين أو ثلاثة، وتعد وتخمّر بطريقة معينة. فيما تجد البعض من السكان القريبين من الجبال والتلال يضيفون لعجينة البناء مادة جيرية تتضمّن بعض الأحجار الخفيفة القادرة على صد زخات المطر. ومؤخراً بات البعض يضيف طبقة أسمنتية بعد تغطية البناء بشبكة من الأسلاك، أو تقنيات أخرى تمسك بخلطة الأسمنت. وظل (الجالوص) من نتاجات عبقرية الإنسان في تفاعله مع بيئته، ومع عوامل الجغرافيا والتراث والاقتصاد.

تجد من يربط بناء بيوت الطين بخلق الانسان من تراب، صيّره الخالق طيناً، ثم صوره بشراً. ويقال إن الطين هو الوحل، كما أنه الموضع، والخلقة والخُلّة، إذ يقال أن طينة فلان كذا وكذا. ويسمي البعض بيت الجالوص بـ(البيت الكوني) لأنه يُبنى بالفطرة. فقد تلفّت الأسلاف حولهم ووجدوا الطين والشجر، فبنوا بيوتهم الجيدة التهوية، والقليلة التكلفة في ذات الوقت. كما أنه يمكن لغير المتخصصين في البناء المشاركة في إنشائها. فبجانب البناء يكون المناول ومجموعة (الطيّانة) هم فريق العمل. ومن هذه المهنة تولّدت المقولة السائدة «ريّحت البناء والبناول الطين»، ذلك حين يقوم أحدهم بإسدال الستار على معضلة ما.

هناك توجه عالمي للعودة للبناء بالطين لأنه صديق للبيئة، كما أن من خصائص بيت الجالوص أن حوائط المبنى تكون سميكة، مما يجعلها تحتفظ بحرارة النهار وبرودة الليل، ولذلك فهي مناسبة للجو الحار والبارد على حد سواء. ويتميز البناء بالطين بسهولة التشكيل، إذ يمكن للحوائط أن تأخذ أشكالاً مربعة أو مستطيلة، أو دائرية كما هو الأمر في الدَّرادِر (جمع دُرْدُر)، وهو البيت الذي يجمع بين حوائط الجالوص ورأس القطاطي.

في سياق معرفة جذور حضارتنا الإنسانية، التي تشكلت عبر مجموعة من الإبداعات البشرية المرتبطة بوعي بيئي فطري لإشكاليات التطوُّر الفسيولوجي، والروحاني، الأمر الذي ساعد على تحقيق قدر جيّد من استيعاب المقدرة البنائية، وابتكار معمار تداخل بسهولة مع البيئة المكانية، وتصالح معها، وتعانق بصدق مع اللحظة دون تكلّفٍ نحتي، محققاً تقارباً تاريخياً بين مفردات حداثية أفرزتها اللحظة الراهنة لتنتج ما يسمى بـ(العمارة الخضراء)، ذلك المصطلح الذي ظهر في الغرب في مطلع النصف الثاني من القرن الماضي إثر هزائم وانتكاسات بيئية متوالية، والذي جاء ليحقّق نوعاً من المصالحة التاريخية مع البيئة.

خلص بعض الخبراء إلى أن الاتجاه الأخضر في التصميم لم يعد خياراً معمارياً، بل أصبح وفي ظل الأزمات البيئية المتلاحقة خياراً وحيداً، ومقياساً لمدى انتباه المعماري لمعطيات البيئة من حوله. وأن العودة لاستيعاب بناياتنا الموروثة يعتبر أساساً حتمياً للشروع في تكوين مفهوم محلي للعمارة الخضراء، والتي يعرفونها بأنها المنظومة الحيوية التي تستوعب معها جميع عمليات الوجود الإنساني، وفي أهم مظاهر حياته وهو مأواه، حيث يجد الإنسان فيها ملاذه وحماه، في هيئة مبنى يتصالح مع المعطى المجاور، أي البيئة، ليعلن بداية جديدة لعلاقة حميمة مع ما يحيط به دون خصومة ودون عداء.

هل كان بمقدور (الرّز) و(رباعته) إحتمال البقاء في بيوتنا التي تحولت إلى صناديق أسمنتية شائهة، يغطّي أرضياتها السيراميك، وتنفذ عبر جدرانها الرفيعة سخانة شمس الصيف، وزمهرير الشتاء؟

لا أظن!!

ونلتقي في حكاية جديدة من بيئتي.

إليه....

نضال علي

كسرت... الساعة الجدارية
وأعادت.. عقارب الساعة...
الوطن.. عصورًا.... للوراء
والقضية.. أضحت عارية..
حين.. سرقت البطولات.
وانقلبت.. والأدوار....
وصرنا.. نحمل خيبات تاريخ..
لسنا مسؤولين عنه.....
وبعد.....
إليك..
والخرطوم.. حاضرة.. في ساحات.. الغياب..
التي تشبه الضباب.. الداكن
وبيوتها.. المعتمة.. المغلقة على أسرارها..
أضحت..... غريبة
والبيت...
لا يشبه ساكنيه....
ولا شئ.. يوحي بالطمأنينة.
حين حولت.. إلى مدينة إغريقية
لم.. يبق منها... قائمًا...
سوى.. الأعمدة...
مدينة.... شاهقة..
متآكلة... الأطراف
ماذا يفيد.. الشموخ....
وأجزاؤها تتفتت من الداخل؟؟؟؟
ضاعت الملامح...
فلم تعد تشبه.. ليلها....
الرفاق.. تفرقوا..
غادروا مدمرين....
رحلوا... مكابرين... بذاكرة مجروحة....
ثملين بندى الفقدان...
ووجع..... الحنين.
فلكل زمن رجاله....
وللرداءة أيضًا أناس
فكلنا على سفر.. يا خرطوم..
وحدهم امواتك
لهم عنوان.. ثابت...
تلك الحرائق.. غادرتنا..
خيبة.. بعد أخرى ...
لم نعد نملك الحماس.. للجدل
أين القضايا...
التي كنا.. مستعدين للموت من أجلها ؟؟؟؟؟؟
ثمة حزن ...
يصبح معه البكاء.. مبتذلًا
فنحن أولى... بالرثاء
ولا شي أمامنا... سوى منعطف خطير...
فلنعترف.. يا خرطوم
إنا.. تحطمنا... معًا....
ما الذي.. جاءت به الحرب؟؟؟؟
أزاحت اللثام عن...
سلسلة... الأكاذيب
البطولات.. الفارغة
الخطابات.. البائسة
ليجعلها.. إعلام اللحظة حقائق
ليصبح للإنسان هوية أخرى
وموت جماعي...
في قبور...
دون أسماء... وذاكرة....
وها.. هو الخراب.. على مد البصر
يا أيها المصور....
قم... فصور...
ماذا... لو منعنا النزف؟؟؟؟؟
وذهب السلام إلى مداه؟؟
فطريق السلام يستحق التعب
عامان.. يا خرطوم...
من الموت المجاني..
لم يدفعهم التفكير...
في تفضيل.. حياة البشر الغالية
كأننا... لا... نعرف العيش
دون.. أمراض..
أو حروب.....
فالحرب.. انتصار...
لغرائز الهيمنة... الحيوانية..
والسلام.. ليس خيارًا
بل.. قدر
لا يمكن تفاديه...
فلا... ألم...
أكبر.. من دموع.. من كان شاهدًا..
على... الثورة..
لن ننسى.. وجعًا... اسمه الوطن
سنلتقي... يا خرطوم... يومًا
لا أعرف.... متى..
حضنك.. الشاسع
سيجمعنا
يدك المتعبة
ستمسح... رأسنا بحنان
على.... النيل
مع أوتار العود
سنلتقي...
ككاتب حزين...
لم يجد لروايته... بعد..
كالنجوم. في....
سمائك.... البعيدة
جميعنا.. يا خرطوم..
أجبن من أن يطول.. فراقك
فنحن في...
مد... وجزر..
فأنت.. الوطن
وأنت.. الجرح...

#هاش_تاق
هذه الحرب لا بطل فيها
سوى الوجع.
وحده ظل بخير

Nidal_Ali#

أشكان... سيرة ذاتية:
قـــراءة أولـــى

السر السيد

ملخص

يقدم كتاب «أشكان... سيرة ذاتية» رحلة حميمية بين الذاكرة والواقع، حيث يحفر الدكتور محمود صالح شينكو في طبقات طفولته بقرية أشكان النوبية الغارقة تحت مياه السد العالي، ليرسم بانوراما ثقافية واجتماعية تتنقل بين الخاص والعام، مستحضراً تفاصيل الحياة اليومية والعادات والتقاليد ببراعة توثيقية ممزوجة بالحنين.

يتميز الأسلوب السردي بتنوع لغوي فريد يجمع بين الفصحى والدارجة والنوبية، مما يعكس التعددية الثقافية للهوية السودانية، بينما يقدم تقسيم الفصول معماراً متناسقاً يضبط تدفق الذكريات المليئة بالمشاهد الحية، من طقوس الختان إلى تفاصيل التعليم في الحقبة الاستعمارية، مروراً بالعلاقة الجدلية بين الإنسان والطبيعة في مجتمع نوبي اختفى جسداً وبقي روحاً.

تتجاوز السيرة الذاتية الإطار الشخصي لتصبح سيرةً لمكان مفقود، حيث يبرز الكاتب حساسية نادرة في توثيق الأدوار الاجتماعية للنساء، معتمداً على ذاكرة دقيقة تخلط بين الوثيقة التاريخية والاستعادة العاطفية، مما يجعل النص أشبه برحلة أنثروبولوجية تكتسب أهميتها من كونها شهادة على عالم غارق في النسيان.

يستهدف الكتاب شرائح متعددة من القراء، من المعاصرين الذين عاشوا الحقبة إلى الأجيال الجديدة التي تفتح ذاكرة الغرق لأول مرة، مروراً بالقارئ غير السوداني الذي سيجد في النص نموذجاً عالمياً لفقدان الهوية تحت ضغط «التحديث»، حيث تتحول أشكان من قرية نوبية إلى استعارة كونية عن ضياع الأوطان وصراع الذاكرة ضد النسيان.

صدر الكتاب في طبعته الأولى التي هي بين أيدينا الآن في العام 2019 عن دار مدارك للطباعة والنشر... الكتاب من تأليف الدكتور محمود صالح شينكو، ويقع في 258 صفحة من القطع المتوسط بما في ذلك المقدمة وفصول الكتاب والملاحق .

عن الكتاب :

ولنبدأ بالاهداء فكما تعلمون أن الإهداء يشكل عتبة من عتبات قراءة أي مؤلف بما يحمله من إيحاءات ودلالات، فالإهداء في هذا الكتاب جاء معبرًا عن الروح العامة وعن الفكرة الكلية للكتاب أو فلنقل للسيرة التي هي احتفاء بالحياة.. بالناس والمكان بما يحمله هذا الاحتفاء من حنين ومحنة ورحمة واحتفال، فهو كما جاء في الكتاب إلى عموم الصبيان والشباب والنساء والرجال في السودان والعالم ليعلموا كيف عشنا في ذلك الزمن، وإلى الوالد صالح شينكو والوالدة نفيسة، وإلى الزوجة ليلى عبد الحميد التي أسعدتني بمسارها الراقي ومكنتني في عملي ومساهماتي للسودان والعالم.

كتب التقديم لهذه السيرة صديق المؤلف الأستاذ عوض محمد الحسن، وهو تقديم أقل ما يمكن أن يقال عنه إنه جاء دقيقًا بل ومعبرًا عن دراية بالكتاب ومعرفة بالكاتب، فقد وردت في هذا التقديم إشارات مهمة جدًا كالإشارة إلى اللغة والأسلوب، والإشارة إلى أن هذا الكتاب هو المؤلف الأول للكاتب حيث لم يسبق له أن ألف قبله كتابًا، وهما إشارتان مهمتان خاصة الأولى التي أشارت إلى واحدة من تقنيات الكتابة في هذه السيرة الذاتية .

في متن الكتاب :

يتكون الكتاب من 16 فصلًا، ويتكون كل فصل من عناوين فرعية تعبر مجتمعة عن عنوان الفصل الرئيس، ولنأخذ الفصل التاسع كمثال لبقية الفصول فقد كان عنوانه الرئيس (كوميه وصبري) أما عناوينه الفرعية فقد جاءت كما يلي :

«المعيشة في القرية – الحيوانات المتوحشة – كوميه والقرية – اغتيال كوميه – كوميه والعدالة – صبري»... نلاحظ في فصول الكتاب تفاوتًا في عدد الصفحات وفي عدد العناوين الفرعية بين فصل وفصل، ونلاحظ كذلك أن الفصول من الفصل الأول إلى الفصل الرابع عشر كرست بشكل أساس للحديث عن «أشكان» وما حولها من بلاد النوبة، بينما الفصلان الخامس عشر والسادس عشر متحركان ومتعددان الأمكنة (الخرطوم – عطبرة – كوستي – إلخ)... هذه الملاحظة تقودنا مباشرة إلى عنوان الكتاب: (أشكان.. سيرة ذاتية) وفيه نقول إن هذا العنوان جاء غامضًا ومما زاد في غموضه، العنوان الداعم أو المفسر؛ ونعني جملة سيرة ذاتية، فكلمة أشكان وحدها للذي لا يعرف إنها قرية سودانية من قرى النوبيين في شمال السودان لم تعد الآن موجودة فقد اختفت من الوجود بفعل قيام السد العالي؛ ستكون مثيرة للتساؤل فقد كان بإمكان المؤلف أن يجعل عنوانه «قرية أشكان.. سيرة ذاتية» أو «قريتي أشكان.. سيرة ذاتية» ولكن وضع المؤلف أشكان هكذا دون تعريف منح العنوان بعدًا تشويقيًا وزوده بحالة استفهامية كبيرة، هذا إضافة لما تحمله كلمة أشكان من جرس موسيقى ملفت، وإلى ما يمكن أن يحيل إليه العنوان الداعم «سيرة ذاتية». ولعل فيما أشرنا آنفا يكمن ما يعرف نقديًا بإستراتيجية العنوان، حيث لم يعد من الممكن قراءة أي مصنف أيًا كان مجاله دون اشتغال على العنوان.

في تقنيات السرد :

ونعني بها الطرائق التي تم بها السرد، ونستخدم مصطلح السرد هنا بفرضية أن «المذكرات والسير الشخصية» بشكل عام يمكن أن تصنف كنوع من السرد، حيث أنها لا تخلو من الحكاية بعناصرها المعروفة من زمان ومكان وشخوص وأحداث، لذلك كثيرًا ما نجد هذا النوع من الكتابة لا يخلو من تماس ما أو صلة ما بالرواية كشكل إبداعي له مقوماته. أما التقنيات التي سنقف عندها في كتابنا هذا فيمكن إجمالها في :

أولًا: اللغة :

ونجد أن هذه السيرة قد استخدمت أكثر من لغة، فقد استخدمت العربية الفصحى، أي اللغة الرسمية «لغة الدولة ولغة التعليم خاصة في ما كان يعرف بالمرحلة الأولية في ذلك الوقت، ونسميها الرسمية لإشارة المؤلف إلى إلزاميتها حتى خارج مقاعد الدرس، ومن لم يلتزم بهذا فلا خيار له سوى الجلد أو الغرامة» .

* اللغة العربية الدارجة وهي موجودة بكثرة في ثنايا السرد.

* اللغة النوبية وهي أيضًا موجودة بكثرة.. نلاحظ أن الكاتب لم يستخدم اللغة الإنجليزية مع انها لغة التعليم الأكثر حضورًا في زمن المؤلف، كما نلاحظ خرقه في مواضع كثيرة لمواضعات اللغة العربية الفصحى كتذكير المؤنث وتأنيث المذكر والخلط في جمع المذكر وجمع المؤنث، فكثيرًا ما يجمع المؤنث على قاعدة جمع المذكر... هنا أرى أن هذا التنوع في اللغات والتداخل

فيما بينها الذي احتشدت به هذه السيرة الشخصية، يعبر ولو بشكل خفي عن هوية تتنفس في الاختناق يعيشها الكاتب ولكن دونما ضوضاء وهتافية.

ثانيًا الأسلوب:

نلمس حضورًا لمستويين مهمين للسرد يتمظهر عبرهما الأسلوب، الأول الكتابة والثاني المشافهة، ونعني هنا أن هذه السيرة في مواضع تعبر عن نفسها أي تحكي عن طريق الكتابة، وفي مواضع أخرى تعبر عن نفسها - أي تحكي عن نفسها - على طريقة الكلام.. هذه الإزدواجية في التعبير الذى حكم الأسلوب من وجهة نظري جاء متسقًا مع ما تفرضه الذاكرة وما تتحكم فيه طاقة التذكر، خاصة مع طول الزمن ومع اختفاء المعالم كما في سيرتنا هذه.. قصدت أن القارئ قد يحس إنه يقرأ وفي مواضع أخرى قد يحس إنه يسمع وفي كل جمال.

ثالثًا تقسيم الكتاب أو السيرة إلى فصول:

هذه التقنية أفادت الكاتب في ضبط الحكي والسيطرة عليه خاصة وأنه يقوم على الذاكرة وعلى التداعي الحر، وبالتالي منعته من التكرار المستهجن، وفي نفس الوقت مكنته من التذكر بشكل أكثر وفرة ودقة.

في ما قاله الكتاب :

بداية يمكننا القول إن هذا الكتاب «الجزء الأول من السيرة» حيث سيصدر الجزء الثانى قريبًا إن شاء الله... كتابة في المحبة والمحنة والحنية والحنين.. يبدأ من طفولة الكاتب وحتى دخوله جامعة الخرطوم... يقدم بالأساس سيرة للمكان تزاوج بين الخاص والعام وتنهض على طريقة أشبه بكتابات الرحالة الأجانب، وبرغم حضور العاطفة والخيال إلا أننا نلمس حضورًا للمعلومات الدقيقة والموثقة كأسماء الأشخاص والأماكن وقياس المسافات، وكالحديث عن نظم المدارس والمناهج الدراسية. وبما أنها سيرة مكان بالأساس - كما افترضنا - سنجد أن العنصر المهيمن فيها هو وصف المكان ثقافة وتاريخًا فسنجد حضورًا للعادات والتقاليد والألعاب ووسائل كسب العيش، وأنواع الطعام والفنون والأنظمة واللوائح، كان هذا في أشكان «المكان الرئيس للسيرة» أو في وادي سيدنا أو في عطبرة... بين هذه العلاقات والعوالم والأحداث يحضر الخاص الذي نعني به ما يتصل بكاتب المذكرات، على أن هذا الخاص باستمرار يتخفى في العام بمعنى أن هذه السيرة لا تبرز حضورًا معتبرًا كبيرًا لصاحبها فهو باستمرار مع أقرانه ومع مواطنيه، مع ملاحظة أن هناك مواضع أشار فيها إلى وقعها الخاص عليه كقبوله في المدرسة الأولية إذ كان هذا أمرًا عصيًا في ذلك الوقت، وكلحظة ختانه، أو يوم أن تكلم؛ فقد تأخر في الكلام كما أشار، أو لحظة ملابسات موت والده.

ما يلفت النظر في هذه السيرة هو ما يمكن تسميته بالحساسية العالية تجاه «النوع الاجتماعي»، فهو باستمرار يستخدم عبارة نساءً ورجالاً، كما إنه لا يتوانى في ذكر أسماء النساء وأدوارهن جنبًا إلى جنب مع الرجال بل لقد لاحظت أنه ينسب الأبناء إلى أمهاتهم كقوله (مختار آمنة) للإشارة إلى « مختار محمد عثمان»، وقد يعود هذا إلى الثقافة النوبية.

السيرة والقارئ :

هنا أتحدث عن التلقي لهذه السيرة أو هذه الحكاية، وعني ما يعرف بالأثر الفني، فبالنسبة لي سيكون القراء على النحو التالي:

* المعاصرون من السودانيين عامة الذين عاشوا تلك الفترة موضوع السيرة، ومن النوبيين بشكل خص، وهم الذين على دراية بتلك المنطقة وبما حدث فيها بعد قيام السد العالي بطريقة أو بأخرى .
* الأجيال الجديدة من السودانيين عامة، ومن النوبيين بصفة خاصة، وهم يفتحون هذه الذاكرة المأساوية ويتجرعون كل هذا الحنين.
* قراء آخرون من غير السودانيين وهم من سيتعاملون مع هذه السيرة دون خلفيات مناطقية أو عرقية أو ثقافية، وهي حتمًا ستترك أثرها فيهم بما تحمله من حنين وشجن وأسى وفقد.

هذه المستويات للتلقي بالطبع تتداخل مع بعضها، فثمة ذاكرة عامة مشتركة يتوارثها كل القراء خاصة السودانيين، وثمة معطى حتمى يتصل بالحكاية نفسها يجد صداه عند كل القراء، وأعنى ما يتصل بتقنية الحكي باعتبار أن السيرة كتابة أو نصًا له منطقه الداخلي .

لما كانت هذه السيرة كتابة في المحبة والمحنة والحنية والحنين بامتياز، فإنها إضافة لما تقدمه من معلومات فهي تثير الشجن والحزن والشعور بالأسى والفقد لأنها باختصار تتحدث عن مكان لم يعد موجودًا وجودًا فيزيائيًا وإن كان عبقه وروحه لا يزالان يحلقان في الفضاء والفؤاد والقلب والذاكرة .

هذه سيرة مختلفة وجميلة، استطاع المؤلف وبجدارة أن يخلق مسافة خلاقة بينه وبين ما يكتب، كما استطاع أن يصنع من حزنه الخاص وشجنه الخاص حزنًا لكل السودانيين، بل لكل قارئ من غيرهم.

القمة السودانية في أسبوع ..

الهلال يتعثر أمام لكصر
والمريخ يعود إلى سكة الانتصارات

ملخص

فرض فريق لكصر التعادل مع نظيره الهلال بنتيجة 1-1، في مباراة مؤجلة عن الجولة 14 من بطولة الدوري الموريتاني الممتاز لكرة القدم . وتقدم لكصر مبكرًا عبر لاعبه بابا لاثير في الدقيقة السادسة، قبل أن يتمكن الهلال من تعديل الكفة بفضل هدف علي عبد الله في الدقيقة 77.

بهذا التعادل، رفع لكصر رصيده إلى 23 نقطة، ليحتل المركز الرابع عشر بفارق نقطة واحدة فقط عن انزيدان صاحب المركز الثالث عشر. في المقابل، صعد الهلال إلى المركز الثاني برصيد 44 نقطة، متفوقًا بفارق الأهداف على الجمارك الذي تراجع إلى المركز الثالث، مما يزيد من حدة المنافسة على المراكز الأولى في الدوري.

ورغم نتيجة التعادل، لم تمر المباراة بهدوء، إذ أعلن نادي لكصر عن تقدمه بطعن رسمي ضد الهلال أمام لجنة الانضباط بالاتحاد الموريتاني لكرة القدم. واحتج لكصر على إشراك الهلال لستة محترفين خلال المباراة، في خرق واضح للمادة 41 من نظام البطولة الوطنية، التي تحدد سقف عدد اللاعبين الأجانب المسموح بهم في المباراة الواحدة.

وأشار موقع تاكا ريم سبورت الموريتاني إلى أن الهلال بدأ اللقاء بخمسة محترفين أساسيين هم: عيسى فوفانا، ستيفن أبويلا، جونيور ماك ميندي، إيتان إيمي، وجان كلود، قبل أن يدفع باللاعب السادس عثمان ديوف في الشوط الثاني، مما جعل الفريق يلعب بستة أجانب طوال بقية زمن المباراة. وينتظر نادي لكصر قرار لجنة الانضباط، وسط توقعات بأن يؤدي الطعن إلى تعديل نتيجة المباراة أو فرض عقوبات على الهلال في حال ثبوت المخالفة.

المريخ يعود إلى سكة الانتصارات

من جانب آخر، استعاد المريخ عافيته بعد فترة من النتائج السلبية، وحقق فوزًا ثمينًا على فريق الجمارك الموريتاني بنتيجة 2-1، في المباراة التي أقيمت على ملعب شيخا بيديا بالعاصمة نواكشوط، ضمن منافسات الجولة 26 من الدوري الموريتاني.

وسجل هدفي المريخ كل من مجتبى فيصل ومحمد أسد، في حين سجل الجمارك هدفه الوحيد دون أن يتمكن من تحقيق التعادل. وأظهر المريخ تحت قيادة مدربه المصري المخضرم شوقي غريب أداءً قويًا ومنظمًا، بالرغم من استمرار معاناة الفريق من إهدار الفرص السهلة، وهو الأمر الذي يسعى غريب لعلاجه في المرحلة القادمة.

بهذا الانتصار، رفع المريخ رصيده إلى 36 نقطة في المركز السادس، بينما ظل الجمارك في المركز الثالث برصيد 44 نقطة، متساويًا مع الهلال ومتأخرًا عنه بفارق الأهداف فقط.

ويضم الجهاز الفني للمريخ إلى جانب شوقي غريب توفيق صقر كمدرب مساعد، ومحسن سيد عثمان كمدرب، وأسامة عبد الكريم كمدرب لحراس المرمى، والدكتور كمال عبد الواحد كمساعد للتخطيط والتدريب، إضافة إلى الدكتور محمد صلاح مسؤول التأهيل البدني، مع الاستعانة بأحد نجوم الفريق السابقين ضمن الجهاز المعاون، في إطار سياسة شوقي غريب لإعادة الفريق إلى سابق تألقه.